مجموعة رسائل مهمة

في العقيدة

بقلم

فضيلة الشيخ العلامة

د / صالح بن فوزان الفوزان

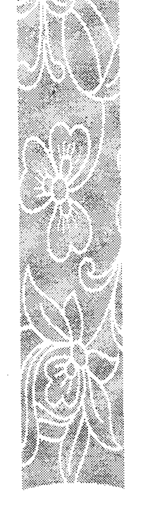
عضو هيئة كبار العلماء

وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء بالمملكة العربية السعودية

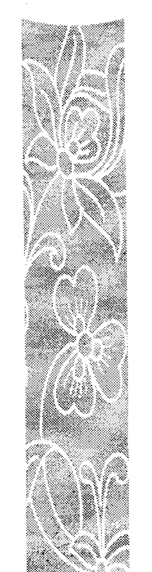
جمعها وأعدها

عبد الله بن علي الصويلح









الطبعة الثانية

1431هـ / 2010 م



الدائري الشرقي - مخرج ١٥

الرياض - الملز - ٢كم غرب أسواق المجد

ت : ٤٧٩٢٠٤٢ (٥ خطوط) فاكس : ٤٧٢٣٩٤١

السويدي ت ٤٢٦٧١٧٧ فاكس ٤٢٦٧٣٧٧

فرع جدة ت ٠٢٦٨٧٠٦٧٩ فاكس ٠٢٦٨١٧٣٨٦

مندوب الرياض : ٠٥٠٣٢٦٩٣١٦

مندوب الغربية : ٠٥٠٤١٤٣١٩٨

مندوب الشرقية والدمام : ٠٥٠٣١٩٣٢٦٨

مندوب الجنوبية : ٠٥٠٤١٣٠٧٢٧

مندوب الشمالية والقصيم : ٠٥٠٤١٣٠٧٢٨

مندوب التوزيع الخيري

للجنوبية والشرقية : ٠٥٠٣١٩٣٢٦٩

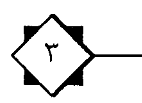
لباقي مناطق المملكة : ٠٥٠٦٤٣٦٨٠٤

لطلبات الجهات الحكومية : ٠٥٠٠٩٩٦٩٨٧

مبيعات المكتبات الخارجية : ٠٥٠٣١٩٣٢٦٩

الموقع على الإنترنت : www.madaralwatan.com

البريد الإلكتروني : pop@madaralwatan.com



الرسالة الأولى
بيان حقيقة التوحيد الذي جاءت به الرسل ورد الشبهات التي أثيرت حوله

الحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد خاتم الرسل، ومن تمسك بسنَّته وسار على نهجه إلى يوم الدين.

أمَّا بعد: فإن العقيدة هي الأساس الذي يقوم عليه بنيان الأمم، فصلاح كل أمة ورقيها مربوط بسلامة عقيدتها وسلامة أفكارها، ومن ثم جاءت رسالات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام تنادي بإصلاح العقيدة. فكل رسول يقول لقومه أول ما يدعوهم:

﴿ **اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ** ﴾ [الأعراف: ٥٩].

﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ** ﴾ [النحل: ٣٦].

وذلك لأن الله سبحانه خلق الخلق لعبادته وحده لا شريك له، كما قال تعالى: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ** (٥٦) ﴾ [الذاريات: ٥٦].



والعبادة حق الله على عباده، كما قال النبي ﷺ لمعاذ ابن جبل رضي الله عنه: «يا معاذ؛ تدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله؟»؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «فإن حق الله على العباد: أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله عز وجل: أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً»[1]، وهذا الحق هو أول الحقوق على الإطلاق لا يسبقه شيء ولا يتقدمه حق أحد.

قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الأنعام: ١٥١].

ولأسبقية هذا الحق وأولويته على سائر الحقوق وكونه الأساس الذي ينبني عليه سائر أحكام الدين نرى النبي ﷺ لبث في مكة ثلاث عشرة سنة يدعو الناس إلى القيام به ونفي الإشراك عنه، وجاء القرآن الكريم في معظم آياته بتقريره ونفي الشبه عنه، وكل مصلٍّ فرضاً أو نفلاً يعاهد الله على القيام به في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

(١) رواه البخاري، صحيح البخاري، (طبعة المكتبة الإسلامية، إسطنبول ١٩٨١م)، (٣/ ٢١٦)، ومسلم برقم (٣٠) واللفظ له.

وهذا الحق العظيم يسمى توحيد العبادة أو توحيد الإلهية، أو توحيد الطلب والقصد - أسماء لسمى واحد - وهذا التوحيد مركوز في الفِطَر «**ما من مولد إلاَّ يولد على الفطرة**»[١]، وإنما يطرأ الانحراف عنه بسبب التربية الفاسدة «**فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**»[٢].

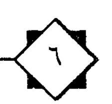
وهذا التوحيد أصيل في العالم، والشرك طارئ عليه ودخيل فيه، قال تعالى: ﴿**كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ**﴾ [البقرة: ٢١٣]، وقال تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا**﴾ [يونس: ١٩].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان بين نوح وآدم عليهما الصلاة والسلام عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق[٣].

قال العلاَّمة ابن القيم: هذا هو القول الصحيح في الآية. وذكر ما يعضده من القرآن[٤].

---

(١) من حديث رواه البخاري: (٢/ ٩٧)، ومسلم، الحديث رقم (٢٦٥٨).
(٢) المرجع السابق.
(٣) انظر تفسير ابن كثير: (١/ ٢٥١)، ط مكتبة الرياض الحديثة.
(٤) انظر إغاثة اللهفان: (٢/ ٢٠١).



وصححه أيضاً الحافظ ابن كثير في تفسيره. وأول ما حدث الشرك في قوم نوح حين غلوا في الصالحين واستكبروا عن دعوة نبيهم: ﴿وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [نوح: ٢٣].

قال البخاري رحمه الله في (صحيحه)[1] عن ابن عباس رضي الله عنهما: (هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انْصِبُوا إلى مَجَالِسِهِم التي كانوا يجلسون أنصاباً، وسمُّوها بأسمائهم ففعلوا، فلم تُعْبَدْ، حتى إذا هلك أولئك وتَنَسَّخَ العلم عُبِدَت)!

قال الإمام ابن القيم[2] رحمه الله: قال غير واحد من السلف: لمّا ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم.

ثم قال[3] رحمه الله: وقد تلاعب الشيطان بالمشركين في عبادة الأصنام بكل قوم على قدر عقولهم، فطائفة دعاهم إلى عبادتها من جهة تعظيم الموتى الذين صوروا تلك

---

(١) انظر صحيح البخاري: (٦/ ٧٣).

(٢) انظر إغاثة اللهفان: (٢/ ٢٠٢).

(٣) انظر إغاثة اللهفان: (٢/ ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٩-٢٣٣).



الأصنام على صورهم، كما في قوم نوح، وهذا السبب هو الغالب على قوام المشركين، وأما خواصّهم فاتخذوا الأصنام على صور الكواكب المؤثرة في العالم بزعمهم، وجعلوا لهم بيوتاً وسدنةً وحجاباً وقرباناً، ولم يزل هذا في الدنيا قديماً وحديثاً. وأصل هذا المذهب من مشركي الصابئة، وهم قوم إبراهيم عليه السلام الذين ناظرهم في بطلان الشرك وكسر حجتهم بعلمه وآلهتهم بيده، فطلبوا تحريقه. وطائفة أخرى اتخذت للقمر صنماً، وزعموا أنه يستحق العبادة وإليه تدبير هذا العالم السلفي. وطائفة تعبد النار، وهم المجوس فيبنون لها بيوتاً كثيرة ويتخذون لها الوقوف والسدنة والحُجَّاب فلا يدعونها تخمد لحظة واحدة. وطائفة تعبد الماء، تزعم أن الماء أصل كل شيء وبه كل ولادة ونمو ونشوء وطهارة وعمارة. وطائفة تعبد الحيوانات، فطائفة عبدت الخيل، وطائفة عبدت البقر، وطائفة عبدت البشر الأحياء والأموات، وطائفة تعبد الجن، وطائفة تعبد الشجر، وطائفة تعبد الملائكة. انتهى كلام ابن القيم رحمه الله.

ومن الأثر الذي مرَّ من رواية البخاري عن ابن عباس في

بيان سبب حدوث الشرك في قوم نوح:

ندرك أولاً: خطورة تعليق الصور على الجدران ونصب التماثيل في المجالس والميادين، وأن ذلك يئول بالناس إلى الشرك بحيث يتطور تعظيم تلك الصور والتماثيل إلى عبادتها واعتقاد جلب الخير ودفع الشر منها، كما حدث لقوم نوح.

وندرك ثانياً: مدى حرص الشيطان عن إضلال بني آدم ومكره بهم، وأنه قد يأتيهم من ناحية استغلال العواطف ودعوى الترغيب في الخير، فإنه لما رأى في قوم نوح ولوعهم في الصالحين ومحبتهم لهم دعاهم إلى الغلو في هذه المحبة بحيث أمرهم بنصب صورهم على المجالس وهدفه من هذا الخروج بهم عن جادة الصواب.

وندرك ثالثاً: أن الشيطان لا يقصر نظره على إغواء الأجيال الحاضرة، بل يمتد إلى الأجيال المستقبلة، فإنه لما لم يتمكن من إيقاع الشرك في الجيل الحاضر من قوم نوح طمع في الجيل المقبل ونصب له الأحبولة.

وندرك رابعاً: أنه لا يجوز التساهل في وسائل الشر، بل يجب قطعها وسد بابها.

وندرك خامساً: فضل العلماء العاملين، وأن وجودهم في الناس خير. وفقدانهم شر، فإن الشيطان لم يتمكن من إغواء القوم حتى فقدوا.

أنواع التوحيد:

إن التوحيد نوعان: توحيد في المعرفة والإثبات: وهو توحيد الربوبية المتمثل بالإقرار بالخالق وانفراده بالخلق والتدبير والإحياء والإماتة وجلب الخير ودفع الشر. وهذا النوع لا يكاد ينازع فيه أحد من الخلق، حتى إن المشركين كانوا يقرون به مع شركهم ولا ينكرونه، كما ذكر الله تعالى عنهم في قوله: ﴿ **قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ** (٣١) ﴾ [يونس: ٣١].

وأمثالها من الآيات كثير، وفيها البيان الواضح بأن المشركين كانوا يقرون بهذا النوع من التوحيد، وإنما كانوا يجحدون النوع الثاني منه، وهو توحيد العبادة المتمثل في إفراد الله سبحانه وتعالى في الطلب والقصد في كل ما يصدر من العبد من أنواع العبادة، كما تدل عليه وتعبر عنه كلمة:

(لا إله إلاَّ الله). إن هذه الكلمة تثبت العبادة بجميع أنواعها لله وحده وتنفيها عما سواه.

ولهذا لما طلب النبي ﷺ من المشركين أن يقولوها امتنعوا وقالوا: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥]؛ لعلمهم أن من قالها فقد اعترف ببطلان عبادة كل ما سوى الله وأثبت العبادة لله وحده، فإن الإله معناه المعبود - والعبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة - فمن نطق بهذه الكلمة وهو مع هذا يدعو غير الله فقد تناقض مع نفسه، والعلاقة بين توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية هي التلازم، بمعنى: أن الإقرار بتوحيد الربوبية يوجب الإقرار بتوحيد الإلهية والقيام به ظاهراً وباطناً؛ ولهذا كان الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يطالبون أممهم بذلك ويحتجون عليهم بما يعترفون به من توحيد الربوبية، كما قال تعالى: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٠٢)﴾ [الأنعام: ١٠٢].

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ

كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ﴾ [الزمر: ٣٨].

فالإقرار بتوحيد الربوبية مركوز في الفِطَر، لا يكاد ينازع فيه أحد من المشركين، ولم يُعْرَفْ عن أحد من طوائف العالم إنكار هذا النوع إلاَّ الدهرية الذين يجحدون الخالق ويزعمون أن العالم يسير بنفسه من غير مدبر له، كما قال الله عنهم: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤].

فرد الله عليهم بقوله: ﴿وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية: ٢٤].

فهم لم يبنوا إنكارهم هذا على برهان دلّهم عليه، بل على مجرد ظن، والظن لا يغني عن الحق شيئاً كما لم يستطيعوا الإجابة عن قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لاَّ يُوقِنُونَ﴾ [الطور: ٣٥، ٣٦].

ولا عن قوله تعالى: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾ [لقمان: ١١].

﴿قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ

الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ ﴾ [الأحقاف: ٤].

ومن تظاهر بجحد هذا النوع من التوحيد كفرعون فهو مقر به في الباطن، كما قال الله تعالى عنه: ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلاءِ إِلاَّ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [الإسراء: ١٠٢].

وقال عنه وعن قومه: ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ [النمل: ١٤].

وقال تعالى عن الأمم الأولى: ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ (٣٨) ﴾ [العنكبوت: ٣٨].

وهذا النوع من التوحيد - كما لم يذهب إلى جحده طائفة معروفة من بني آدم، كذلك في الغالب لم يقع فيه شرك، فالكل مقِرّون بأن الله هو المنفرد بالخلق والتدبير، ولم يثبت عن أحد من طوائف العالم إثبات خالقين متساويين في الصفات والأفعال، فالثنوية من المجوس الذين يجعلون للعالم خالقين - خالقاً للخير وهو النور، وخالقاً للشر وهو الظلمة لا يسوون الظلمة بالنور، فالنور عندهم هو الأصل والظلمة حادثة، وهم متفقون على أن النور خير من الظلمة. وكذلك النصارى القائلون بالتثليث

لم يثبتوا للعالم ثلاثة أرباب منفصل بعضهم عن بعض، بل هم متفقون على أن خالق العالم واحد، ويقولون: إن الأب هو الإله الأكبر.

والحاصل: أن إثبات توحيد الربوبية محل وفاق والشرك فيه قليل ولكن الإقرار به وحده لا يكفي العبد في حصول الإسلام، بل لا بد مع ذلك أن يأتي بلازمه وهو توحيد الإلهية، فإن الأمم الكفرية كانت تقر بتوحيد الربوبية خصوصاً مشركي العرب الذين بعث فيهم خاتم الرسل ﷺ، ولم يكونوا بهذا مسلمين لما لم يأتوا بتوحيد الإلهية، والمستقرئ لآيات القرآن الكريم يجد أنها تطالب بتوحيد الإلهية، وتستدل عليه بتوحيد الربوبية، فهي تطالب المشركين بما جحدوه، وتستدل عليه بما أثبتوه. فهي تأمرهم بتوحيد العبادة، وتخبر عن إقرارهم بتوحيد الربوبية، فتذكر توحيد العبادة في سياق الطلب، وتوحيد الربوبية في سياق الخبر.

وأول أمر جاء في المصحف هو قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ

السَّمَاء مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢١، ٢٢].

وكثيراً ما نجد في القرآن الكريم الدعوة إلى توحيد العبادة والأمر به والجواب عن الشبه الموجهة إليه، وكل سورة في القرآن، بل كل آية في القرآن فهي داعية إلى هذا التوحيد؛ لأن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، وهذا هو توحيد الربوبية؛ وإما دعاء إلى عبادته وحده لا شريك له وترك ما يعبد من دونه، وهذا هو توحيد الإلهية؛ وإما خبر عن إكرامه لأهل توحيده وطاعته في الدنيا والآخرة، وهذا جزاء توحيد؛ وإما خبر عن أهل الشرك وعن جزائهم في الدنيا والآخرة، وهذا جزاء من خرج عن حكم التوحيد؛ وإما أحكام وتشريع، وهذا من حقوق التوحيد فإن التشريع حق لله وحده.

وهذا التوحيد بجميع أنواعه تضمنته كلمة واحدة هي: (لا إله إلاَّ الله) فإنها تتضمن نفياً وإثباتاً. نفي الإلهية الحقة عن كل ما سوى الله وإثباتها لله وحده. كما تتضمن ولاء وبراء، ولاء لله وبراء مما سواه. ودين التوحيد قائم على هذين الأساسَيْن، كما قال تعالى عن خليله إبراهيم عليه

الصلاة والسلام أنه قال لقومه: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾﴾ [الزخرف: ٢٦، ٢٧].

وهذا منهاج كل رسول يبعثه الله، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لا انفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة: ٢٥٦].

فمن قال: (لا إله إلاَّ الله) فقد أعلن البراءة من عبادة كل ما سوى الله والتزم القيام بعبادة الله وذلك عهد يقطعه الإنسان على نفسه: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾ [الفتح: ١٠].

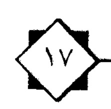
فلا إله إلاَّ الله إعلان لتوحيد العبادة؛ لأن معناه المعبود، فمعناها: لا معبود بحق إلاَّ الله. فمن قال هذه الكلمة عارفاً لمعناها عاملاً بمقتضاها من نفي الشرك وإثبات الوحدانية لله مع اعتقاد ذلك والعمل به فهو المسلم حقاً. ومن قالها وعمل بمقتضاها ظاهراً من غير اعتقاد في

القلب فهو المنافق. ومن قالها بلسانه وعمل بخلافها من الشرك المنافي لمدلولها فهو الكافر ولو قالها مراراً وتكراراً، كحال عبّاد القبور اليوم الذين ينطقون بهذه الكلمة ولا يفقهون معناها ولا يكون لها أثر في تعديل سلوكهم وتصحيح أعمالهم فتراه يقول: لا إله إلاّ الله، ثم يقول: المدد يا عبدالقاير، يا بدوي، يا فلان يا فلان، يستنجد بالأموات ويستغيث بهم في الملمات. إن المشركين الأولين عرفوا من معنى هذه الكلمة ما لم يعرفه هؤلاء، حيث أدركوا أن الرسول ﷺ حينما قال لهم: «**قولوا: لا إله إلاّ الله**»[1]، فقد طلب منهم ترك عبادة الأصنام وأراد منهم عبادة الله وحده، ولهذا قالوا: ﴿**أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا**﴾ [ص: ٥]، وقال قوم هود: ﴿**قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا**﴾ [**الأعراف**: ٧٠].

وقال قوم صالح له: ﴿**أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا**﴾ [**هود**: ٦٢].

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند، الطبعة الميمنية: (٣/ ٤٩٢)، والترمذي في سننه، سنن الترمذي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق: أحمد شاكر، الحديث برقم (٣٢٣٢).



وقال قوم نوح له من قبل: ﴿وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣].

هذا ما فهمه الكفار من معنى: لا إله إلاَّ الله - أنه تَرْك لعبادة الأصنام، وإقبال على عبادة الله وحده، فلهذا أبوا النطق بها - لأنه لا يجتمع مع عبادة اللات والعزى ومناة. وعبّاد القبور اليوم لا يدركون هذا التناقض فهم ينطقون بها مع بقائهم على عبادة الأموات. وبعضهم يفسر الإله بأنه القادر على الاختراع والخلق والإيجاد(١)، فيكون معنى (لا إله إلاَّ الله) عنده: لا قادر على الاختراع إلاَّ الله، وهذا من أفحش الخطأ. فإن من فسرها بذلك لم يزد على ما أقر به الكفار، فإنهم كانوا يقرون بأنه لا يقدر على الاختراع والخلق والرزق والإحياء والإماتة إلاَّ الله، كما ذكر الله تعالى ذلك عنهم ولم يصيروا به مسلمين. نعم، هذا المعنى الذي يذكرونه داخل في معنى لا إله إلاَّ الله، لكن ليس هو المقصود من هذه الكلمة.

---

(١) كما هو مذكور في كتب العقائد المؤلفة على طريقة علماء الكلام، مثل (رسالة التوحيد) لمحمد عبده.

الشرك في توحيد العبادة :

والشرك في العبادة هو صرفها أو صرف شيء منها لغير الله، وقد ألمحنا فيما سبق إلى مبدأ حدوثه في الأرض ولا زال مستمراً في الخلق إلاَّ من رحم الله، وهذا الشرك نوعان: شرك أكبر يخرج من الملة؛ كالذبح لغير الله ودعاء غير الله، أو صرف أي نوع من أنواع العبادة لغير الله، وشرك أصغر لا يخرج من الملة لكنه ينقص التوحيد وقد يتمادى بصاحبه حتى يقع في الشرك الأكبر، وذلك كالحلف بغير الله وكثير الرياء، وقول: ما شاء الله وشئت، ولولا الله وأنت، وما أشبه ذلك من الألفاظ التي تجري على اللسان ولا يقصد معناها.

وقد كثر الشرك في هذه الأمة واستشرى أمره؛ بسبب ابتعاد أكثر الناس عن الكتاب والسنَّة وتقليدهم للآباء والأجداد على غير هدى، وبسبب الغلو في تعظيم الموتى والبناء على قبورهم، وبسبب الجهل بحقيقة دين الإسلام الذي بعث الله به رسوله ﷺ، كما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية)، وبسبب

رواج الشبه والحكايات التي ضل بها أكثر الناس واعتبرها أدلة يستندون إليها في تبرير ما هم عليه.

وهذه الشبه منها ما أدلى به مشركو الأمم السابقة ومنها ما أدلى به مشركو هذه الأمة.

ومن هذه الشبه:

أولاً: شبهة تكاد تكون مشتركة بين طوائف المشركين في مختلف الأمم قديماً وحديثاً، وهي شبهة الاحتجاج بما عليه الآباء والأجداد، وأنهم ورثوا هذه العقيدة عنهم، كما قال تعالى: ﴿ **وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ** ﴿٢٣﴾ ﴾ [الزخرف: ٢٣].

وهذه حجة يلجأ إليها كل من يعجز عن إقامة الدليل على دعواه، وهي حجة داحضة لا يقام لها وزن في سوق المناظرة، فإن هؤلاء الآباء الذين قلدوهم ليسوا على هدى، ومن كان كذلك لا تجوز متابعته والاقتداء به، قال تعالى: ﴿ **أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ** ﴾ [المائدة: ١٠٤]، وقال تعالى: ﴿ **أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ** ﴾ [البقرة: ١٧٠].

وإنما يكون الاقتداء بالآباء محموداً إذا كانوا على حق قال تعالى عن يوسف عليه السلام ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ذَلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ﴾ [يوسف: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور: ٢١].

وهذه الشبهة متغلغلة في نفوس المشركين يقابلون بها دعوات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فقوم نوح لما قال لهم نوح: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ (٢٣) فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لأَنزَلَ مَلائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٣، ٢٤].

فجعلوا ما عليه آباؤهم حجة يعارضون بها ما جاءهم به نبيهم نوح عليه السلام. وقوم صالح يقولون له: ﴿أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ [هود: ٦٢].

وقوم شعيب يقولون له: ﴿أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ [هود: ٨٧].

وقوم إبراهيم يقولون له لمّا أفحمهم بالحجة وقال لهم:

﴿مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [الشعراء: ٧٠ - ٧٤].

وقال فرعون لموسى: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ﴾ [طه: ٥١].

وهذا الكفر ملة واحدة لا يملك أهله حجة يدفعون بها الحق إلاَّ هذه الحجة الواهية.

ثانياً: الشبهة التي أدلى بها مشركو قريش وغيرهم، وهي الاحتجاج بالقدر على تبرير ما هم عليه من الشرك. قال تعالى في سورة الأنعام: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٤٨]، وقال في سورة النحل: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ﴾ [النحل: ٣٥].

وقال في سورة الزخرف: ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَاهُم﴾ [الزخرف: ٢٠].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله عند آية الأنعام[1]: هذه

---

(١) تفسير ابن كثير: (٢/ ١٨٧).

مناظرة ذكرها الله تعالى، وشبهة تَشَبَّث بها المشركون في شركهم وتحريم ما حرموا: فإن الله مطلع على ما هم فيه من الشرك والتحريم لما حرموه، وهو قادر على تغييره بأن يلهمنا الإيمان، أو يَحُول بيننا وبين الكفر فلم يغيره، فدل على أن بمشيئته وإرادته ورضاه منا ذلك . . . قال: وهي حجة داحضة باطلة؛ لأنها لو كانت صحيحة لما أذاقهم الله بأسه، ودَمَّر عليهم، وأدال عليهم رسله الكرام، وأذاق المشركين من أليم الانتقام: ﴿هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ﴾، أي: بأن الله راضٍ عنكم فيما أنتم فيه، ﴿فَتُخْرِجُوهُ لَنَا﴾ أي: فتظهروه لنا وتُبَيِّنوه وتُبْرِزُوه. ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ﴾ أي: الوهم والخيال. ﴿وَإِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ﴾ أي: تكذبون على الله فيما ادعيتموه. انتهى.

وقال عند تفسير آية النحل[1]: ومضمون كلامهم: أنه لو كان تعالى كارهاً لما فعلنا لأنكره علينا بالعقوبة، ولما مكنا منه، قال الله تعالى راداً عليهم شبهتهم: ﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ

(١) تفسير ابن كثير: (٢/ ٥٦٩، ٥٧٠).

حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [النحل: ٣٥، ٣٦]، أي: ليس الأمر كما تزعمون أنه لم ينكره عليكم، بل قد أنكره عليكم أشد الإنكار، ونهاكم عنه آكد النهي، وبعث ﴿فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً﴾، أي: في كل قرن وطائفة من الناس ﴿رَّسُولاً﴾، وكلهم يدعون إلى عبادة الله، وينهون عن عبادة ما سواه ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾.

فلم يزل تعالى يرسل إلى الناس الرسل بذلك منذ حدث الشرك في بني آدم، في قوم نوح الذين أُرسل إليهم نوح، وكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض إلى أن ختمهم بمحمد ﷺ الذي طبقت دعوته الإنس والجن في المشارق والمغارب، وكلهم كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقوله تعالى: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥]، وقال تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

فكيف يسوغ لأحد من المشركين بعد هذا أن يقول:

﴿لو شآءَ الله ما عَبَدْنَا من دُونِه من شَيء﴾؟! فمشيئته تعالى الشرعية عنهم منتفية؛ لأنه نهاهم عن ذلك على ألسنة رسله، وأما مشيئته الكونية: وهي تمكينهم من ذلك قدراً فلا حجة لهم فيها . . . قال: ثم إنه تعالى قد أخبر أنه أنكر عليهم بالعقوبة في الدنيا بعد إنذار الرسل. انتهى.

فهم لم يريدوا بهذا الكلام الاعتذار عن ارتكاب القبيح؛ لأنهم لا يعتقدون قبح أفعالهم، بل هم ﴿يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف: ١٠٤]، وهم إنما يعبدون الأصنام، ويقولون ﴿لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [الزمر: ٣]، فلم يريدوا بذلك إلاَّ الاحتجاج على أن ما ارتكبوه حق ومشروع ومَرْضِيٌّ عند الله، فرد عليهم سبحانه بأنه لو كان الأمر كذلك لما بعث الرسل لإنكاره ولما عاقبهم عليه.

ثالثاً: ومن شبههم ظنهم أن مجرد النطق بلا إله إلاَّ الله يكفي لدخول الجنة، ولو فعل الإنسان ما فعل من المكفرات والشركيات متمسكين بظواهر الأحاديث التي ورد فيها أن من نطق بالشهادتين حرم على النار.

والجواب عن هذه الشبهة: أن الأحاديث المذكورة محمولة على من قال: لا إله إلاَّ الله، ومات عليها ولم

يناقضها بشرك، بل قالها خالصاً من قلبه مع كفره بما يعبد من دون الله ومات على ذلك، كما في حديث عتبان: «**فإن الله قد حرم على النار من قال: لا إله إلاَّ الله يبتغي بذلك وجه الله**»[١]، وفي صحيح مسلم[٢]: «**من قال: لا إله إلاَّ الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه، وحسابه على الله**»، فعلق النبي ﷺ عصمة المال والدم بأمرين: الأول: قول: لا إله إلاَّ الله، والثاني: الكفر بما يعبد من دون الله، فلم يكتف باللفظ المجرد عن المعنى، بل لا بد من قولها والعمل بها. فقول: لا إله إلاَّ الله سبب لدخول الجنة والنجاة من النار ومقتض لذلك، ولكن السبب والمقتضي لا يعمل عمله إلاَّ إذا تحققت شروطه وانتفت موانعه. قيل للحسن رحمه الله: إن ناساً يقولون: من قال: لا إله إلاَّ الله دخل الجنة، فقال: من قال: لا إله إلاَّ الله فأدى حقها وفرضها دخل الجنة. وقال وهب بن منبه لمن سأله: أليس لا إله إلاَّ الله مفتاح الجنة؟ قال: بلى، ولكن ما من مفتاح إلاَّ وله أسنان،

---

(١) الحديث رواه البخاري: (١/ ١١٠)، ومسلم، الحديث برقم (٣٣).

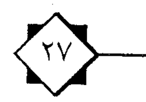
(٢) انظر مسلم، الحديث برقم (٢٣).

فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلاَّ لم يفتح. فكيف يقال: إن مجرد النطق بلا إله إلاَّ الله يكفي لدخول الجنة، ولو كان الناطق بها يدعو الأموات ويستغيث بهم في الملمات ولا يكفر بما يعبد من دون الله، هل هذا إلاَّ عين المغالطة بالباطل؟!

رابعاً: ومن شبههم: دعواهم أنه لا يقع في هذه الأمة المحمدية شرك وهم يقولون: لا إله إلاَّ الله محمد رسول الله، وأن هذا الذي يقع منهم مع الأولياء والصالحين عند قبورهم ليس بشرك.

والجواب عن هذه الشبهة: أن النبي ﷺ قد أخبر أنه سيحصل في هذه الأمة مشابهة لليهود والنصارى فيما هم عليه. ومن جملة ذلك اتخاذهم أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله - قال ﷺ: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً شبراً وذراعاً بذراع؟ حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم**» قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: «**فمن؟**»[1]، فأخبر ﷺ أن بعض هذه الأمة سيفعل ما فعلته الأمم قبلها من الديانات والعادات والسياسات مطلقاً.

(١) رواه البخاري: (٨/ ١٥١).



وقد وجد في الأمم قبلنا الشرك، فكذلك يوجد في هذه الأمة.

وقد وقع ما أخبر به ﷺ فها هي القبور تعبد من دون الله بأنواع العبادات ويصرف لها كثير من القربات، وأخبر ﷺ أنها لا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمته بالمشركين وحتى تعبد فئام من أمته الأوثان، رواه أبو داود[١] وابن ماجه. وقد حدث في هذه الأمة من الشرك والمبادئ الهدامة والنِّحَل الضالة ما خرج به كثير عن دين الإسلام.

خامساً: ومن شبههم استدلالهم بحديث: «**إن الشيطان قد أيسَ أن يعبده المصلون في جزيرة العرب**»[٢]، وهو حديث صحيح مروي من عدة طرق في صحيح مسلم وغيره، وقد استدلوا به على استحالة وقوع الشرك في جزيرة العرب.

والجواب عن ذلك بما قاله ابن رجب رحمه الله: إن المراد أنه يئس أن يجتمع الأمة كلها على الشرك الأكبر.

---

(١) انظر سنن أبي داود، طبعة دار ابن حزم، بيروت ١٤١٩هـ، الحديث برقم (٤٢٥٢).

(٢) رواه مسلم، الحديث برقم (٢٨١٢).

وأشار ابن كثير إلى هذا المعنى عند تفسير قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ﴾ [المائدة: ٣].

وأيضاً في الحديث المذكور نسبة اليأس إلى الشيطان مبنياً للفاعل ولم يقل: (أُيِّس) بالبناء للمفعول، وإياسه ظن منه وتخمين لا عن علم؛ لأنه لا يعلم الغيب، وهذا غيب لا يعلمه إلاَّ الله، وظنه هذا تكذبه الأحاديث الثابتة عن النبي ﷺ والتي أخبر فيها عن وقوع الشرك في هذه الأمة من بعده، ويكذبه الواقع فإن كثيراً من العرب ارتدوا عن الإسلام بعد وفاة النبي ﷺ بأنواع من الردة - والله أعلم.

سادساً: ومن شبههم: تعلقهم بقضية الشفاعة حيث يقولون نحن لا نريد من الأولياء والصالحين قضاء الحاجات من دون الله، ولكن نريد منهم أن يشفعوا لنا عند الله؛ لأنهم أهل صلاح ومكانة عند الله سبحانه وتعالى والشفاعة ثابتة بالكتاب والسنَّة فهذا الذي نريده منهم.

والجواب: أن هذا هو عين ما قاله المشركون من قبل في تعليل تعلقهم بالمخلوقين من دون الله، كما قال تعالى عنهم: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ



أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [الزمر: ٣].

وقال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

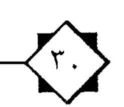
والشفاعة حق ولكنها ملك لله وحده: ﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [الزمر: ٤٤].

فهي تُطْلَبُ من الله لا من الأموات، والله قد أخبرنا أنها لا تحصل إلاَّ بشرطين: الشرط الأول: إذن الله للشافع أن يشفع، كما قال تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

والشرط الثاني: أن يكون المشفوع فيه ممن رضي الله قوله وعمله وهو المؤمن الموحد. كما قال تعالى: ﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لاَّ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً ﴿١٠٩﴾﴾ [طه: ١٠٩].

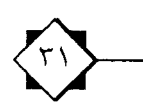
فالله لم يرخص في طلب الشفاعة من الملائكة ولا من الأنبياء ولا من الأصنام؛ لأنها ملكه وحده ومنه تطلب:



﴿ قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا ﴾ [الزمر: ٤٤].

فهو الذي يأذن للشافع أن يشفع، وإن لم يأذن له لم يتقدم في الشفاعة بين يديه. وليس الأمر كما يحصل عند المخلوقين من تقدم الشفعاء إليهم وإن لم يأذنوا لهم، ويقبلون شفاعتهم ولو لم يرضوا بها - فإن المشفوع عنده من المخلوقين يحتاج إلى الشافع ومعاونته فيضطر لقبول شفاعته وإن لم يأذن له فيها - وأما الله سبحانه فهو الغني عما سواه فلس بحاجة إلى أحد، بل كل أحد محتاج إليه. وأيضاً المخلوق لا يدري عن كل أحوال رعيته حتى يبلغه عنها الشفعاء لديه - والله سبحانه بكل شيء عليم، لا يخفى عليه شيء من أحوال خلقه، فليس بحاجة إلى من يبلغه - وحقيقة الشفاعة عند الله سبحانه: أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص فيعفو عنهم ويغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع؛ ليكرمه بذلك.

سابعاً: ومن شبههم قولهم: إن الأولياء والصالحين لهم مكانة عند الله، كما قال تعالى: ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾



لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٤].

والتعلق بهم والتبرك بآثارهم من تعظيمهم ومحبتهم، وكذلك سؤال الله بجاههم وحقهم وما أشبه ذلك من التعليلات.

والجواب: أن المؤمنين كلهم أولياء الله، وهم يتفاوتون في هذه الولاية بحسب إيمانهم وأعمالهم الصالحة - ولكن الجزم لمعين بأنه ولي الله يحتاج إلى دليل من الكتاب والسنَّة - فمن شهد له الكتاب والسنَّة بالولاية شهدنا له بذلك، ومن لم يشهد له الكتاب والسنَّة فإننا لا نجزم له بذلك، ولكن نرجو للمؤمن الخير، وحتى من ثبت في الكتاب والسنَّة أنه من أولياء الله فإنه لا يجوز لنا الغلو فيه والتبرك به وسؤال الله بجاهه وحقه، فإن ذلك من وسائل الشرك، ومن البدع المحرمة، فنحن نحب الصالحين ونقتدي بهم في الأعمال الصالحة والخصال الطيبة، ولا نغلوا فيهم ونرفعهم فوق منزلتهم، فإن الغلو في الصالحين هو مبدأ الشرك، كما حصل في قوم نوح لما غلوا في الصالحين، فآل بهم الأمر إلى أن عبدوهم من دون الله، وكما وقع في هذه الأمة بسبب الغلو في

الصالحين من الشرك في العبادة، وقد حذر الله ورسوله من الغلو، فقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ [المائدة: ٧٧].

وقال النبي ﷺ: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنَّما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله»[(١)].

والإطراء: مجاوزة الحد في المدح، والله تعالى قد أمرنا أن ندعوه وحده بدون واسطة ولي أو غيره، ووعدنا أن يستجيب لنا وهو لا يخلف وعده، فقال سبحانه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وقال تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥]، وقال تعالى: ﴿فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [غافر: ٦٥].

وهكذا كل الآيات فيها الأمر بدعائه مباشرة من دون واسطة أحد والأولياء والصالحون عباد محتاجون فقراء إلى الله - قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: ٥٧].

---

(١) رواه البخاري: (٤/ ١٤٢).

قال العوفي عن ابن عباس في الآية: كان أهل الشرك يقولون: نعبد الملائكة والمسيح وعزيراً، فقال الله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾، أي الملائكة المعبودة لهم يتبادرون إلى طلب القربة إلى الله، فيرجون رحمته ويخافون عذابه ومن كان كذلك لا يُدْعى مع الله[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: والآية عامة تعم كل من كان معبوده عابداً لله سواء كان من الملائكة أو من الجن أو من البشر - فالآية خطاب لكل من دعا من دون الله مدعواً وذلك المدعو يبتغي إلى الله الوسيلة ويرجو رحمته ويخاف عذابه، فكل من دعا ميتاً أو غائباً من الأنبياء والصالحين سواء كان بلفظ الاستغاثة أو غيرها فقد تناولته الآية، كما تتناول من دعا الملائكة والجن[٢].

ثامناً: ومن شبههم استدلالهم بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥]، وقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ [الإسراء: ٥٧].

---

(١) انظر تفسير ابن كثير: (٣/ ٤٧).
(٢) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام: (١١/ ٥٢٩).



حيث فهموا من الآيتين مشروعية اتخاذ الوسائط بينهم وبين الله من الأنبياء والصالحين يتوسلون بذواتهم وبحقهم وجاههم.

والجواب عن ذلك: أن الوسيلة في الآيتين ليست كما فهموا، بل المراد بها التقرب إلى الله بالأعمال الصالحة - فالتوسل قسمان: توسل مشروع وتوسل ممنوع. فالتوسل المشروع أنواع، منها:

١- التوسل إلى الله بأسمائه وصفاته: كما قال تعالى: ﴿ **وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ** ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

كأن يقول المسلم: يا الله يا أرحم الراحمين، يا منان يا ذا الجلال والإكرام كذا وكذا.

٢- التوسل إلى الله بإظهار الفقر والحاجة إليه سبحانه، كما قال أيوب عليه السلام: ﴿ **قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (٤)** ﴾ [مريم: ٤].

وكما قال زكريا عليه السلام: ﴿ **أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧)** ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

وكما قال ذو النون عليه السلام: ﴿ **رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا**

سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٩٣].

٣- التوسل إلى الله بالأعمال الصالحة، كما في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا﴾ [آل عمران: ١٩٣].

وكما في قصة الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة فدعوا الله بصالح أعمالهم ففرج عنهم[١]، وهو التوسل المذكور في الآيتين الكريمتين اللتين استدل بهما المخالف، فهو التقرب إلى الله تعالى بالأعمال الصالحة.

٤- التوسل إلى الله تعالى بدعاء الصالحين: بأن تأتي إلى عبد صالح حي وتقول له: ادع الله لي، كما قال النبي ﷺ لبعض أصحابه: «**لا تنسنا يا أخي من دعائك**»[٢]، وكما كان الصحابة رضي الله عنهم يطلبون من النبي ﷺ أن يدعو الله لهم ويطلب بعضهم من بعض الدعاء.

أما التوسل الممنوع: فهو التوسل بذوات المخلوقين وحقهم وجاههم - كأن يقول قائل: أسألك بفلان أو بحق

---

(١) انظر صحيح البخاري: (٤/ ١٤٧-١٤٨).

(٢) انظر الحديث في سنن أبي داود: برقم (١٤٩٨)، والترمذي برقم (٣٥٦٢).

فلان أو جاهه حياً أو ميتاً، فإن هذا بدعة محرمة ووسيلة من وسائل الشرك، وإن تقرب صاحبه إلى المخلوق المتوسل به بشيء من أنواع العبادة فهو الشرك الأكبر نعوذ بالله من ذلك، كأن يذبح للولي أو ينذر لقبره أو يناديه ويطلب منه المدد وغير ذلك. نسأل الله أن يبصِّر المسلمين بدينهم، وأن ينصرهم على أعدائهم، ويهدي ضالهم.

تاسعاً: ومن شبههم تعلقهم ببعض الأحاديث التي ظنوا أنها تصلح حجة لهم، كالحديث الذي رواه الترمذي في جامعه[1] بسنده عن عثمان بن حنيف: أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال: ادع الله أن يعافيني، قال: «**إن شئت دعوت، وإن شئت صبرت فهو خير لك**»، قال: فادعه. فأمره أن يتوضأ ويحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء: «**اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، إني توجهت به إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى، اللهم فشفعه فيّ**»، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلاَّ من رواية أبي جعفر، وهو غير الخطمي، قالوا: فهذا الحديث فيه التوجه إلى الله وسؤاله بنبيه محمد ﷺ.

---

(١) سنن الترمذي: برقم (٣٥٧٣).



والجواب عن ذلك: أن هذا الحديث إن صح فهو في غير محل النزاع، فإن هذا الأعمى إنما طلب من النبي ﷺ أن يدعو له وتوجه إلى الله بدعائه مع حضوره وهذا جائز - أن تأتي إلى رجل صالح حي وتطلب منه أن يدعو الله لك - وليس فيه ما يدل على التوسل والتوجه بالأموات والغائبين، والنبي ﷺ أمر هذا الضرير أن يدعو الله أن يقبل شفاعة نبيه فيه، فهذا فيه طلب الشفاعة من الله تعالى وطلب الشفاء من الله وحده، ليس في الحديث أكثر من هذا، فهو لا يدل على جواز التوسل بذوات المخلوقين ونداء الأموات والغائبين، واستدلوا أيضاً بحديث مكذوب فيروون: أن النبي ﷺ قال: «**توسلوا بجاهي، فإن جاهي عند الله عظيم**» وهو حديث مكذوب مفترى على رسول الله ﷺ كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله[1].

عاشراً: ومن شبههم أيضاً اعتمادهم على حكايات ومنامات: أن فلاناً مثلاً أتى القبر الفلاني فحصل له كذا وكذا، وفلاناً رأى في المنام كذا وكذا - مثل الحكاية التي ذكرها

---

(١) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: (١/ ٣١٩، ٣٤٦).



جماعة منهم، وهي أن العتبي قال: كنت جالساً عند قبر النبي ﷺ فجاء أعرابي فقال: السلام عليكم يا رسول الله، سمعت الله يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾ [النساء: ٦٤].

وقد جئتك مستغفراً لذنبي مستشفعاً بك إلى ربي، ثم أنشأ يقول:

يا خير من دفنت في الأرض أعظمه
فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه
فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم انصرف الأعرابي، فغلبتني عيني فرأيت النبي ﷺ في النوم، فقال: يا عتبي، الحق بالأعرابي فبشره أن الله غفر له.

والجواب عن ذلك: أن الحكايات والمنامات لا تصح دليلاً تبنى عليه أحكام.

وقوله تعالى: ﴿جَاءُوكَ﴾، والمراد به: المجيء إليه ﷺ في حياته لا المجيء إلى قبره، بدليل أنه لم يكن أحد من

الصحابة والتابعين لهم بإحسان يأتي إلى قبره ﷺ ويطلب منه أن يستغفر له، مع حرصهم الشديد على الخير وامتثال الأمر، فلو كان ذلك مشروعاً لفعلوه.

الحادي عشر: ومن شبههم: الاستدلال بحصول بعض مقاصدهم عند الأضرحة ونحوها، كقولهم: إن فلاناً دعا عند الضريح الفلاني، أو هتف باسم الشيخ فلان أو الولي فلان فحصل له مطلوبه.

والجواب: أن حصول بعض المقصود للمشرك لا يدل على جواز ما هو عليه من الشرك، إذ قد يكون حصول ذلك صادف قضاءً فظن أن ذلك بسبب دعائه لذلك الشيخ أو الولي، أو قد يكون ذلك حصل استدراجاً له وفتنة - فلا يدل على جواز دعاء غير الله. وهكذا نجد المشركين لا يملكون دليلاً واحداً صحيحاً لما هم عليه من الشرك، بل هم كما قال تعالى: ﴿**وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ**﴾ [**المؤمنون**: ١١٧].

وإذا كان الشرك لم يقم على برهان وحجة فإن التوحيد قام على البراهين القاطعة والحجج الواضحة: ﴿**أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾ [إبراهيم: ١٠]، ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ**



اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢١، ٢٢].

الثاني عشر: زعم غلاة المتصوفة ومن يقلدهم: أن الشرك هو الميل إلى الدنيا والاشتغال بطلبها.

والجواب: أن هذا يريدون به تغطية ما هم عليه من الشرك الأكبر المتمثل في عبادتهم للقبور، وغلوهم في المشايخ. وطلب الدنيا من الوجه المباح هو مما أمر الله به، وإذا كان القصد منه الاستعانة به على طاعة الله فهو عبادة وتوحيد.

الخاتمة:

وبعد: فإن الشرك هو أعظم أنواع الظلم قال تعالى: ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [لقمان: ١٣].

إن الشرك لا يتناوله مغفرة الله لمن مات عليه، قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ [النساء: ٤٨].

إن المشرك تحرم عليه الجنة تحريماً مؤبداً: ﴿ إِنَّهُ مَن

يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾ [المائدة: ٧٢].

إن المشرك نجس لا يحل دخوله في حرم الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ [التوبة: ٢٨].

إن المشرك حلال الدم والمال: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥].

إن المشرك قد ضل ضلالاً مبيناً، وافترى إثماً عظيماً، إن المشرك قد انحط من سمو التوحيد: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ (٣١)﴾ [الحج: ٣١].

إن المشرك لا تحل مناكحته: ﴿وَلا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢١].

إن المشرك لا يقبل منه عمل ولا تصح منه عبادة: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ



عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الزمر: ٦٥].

﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [الأنعام: ٨٨].

نعوذ بالله من الشك والشرك والكفر والنفاق وسوء الأخلاق وسوء المنقلب في المال والأهل والولد، اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه.

﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ ﴾ [الصافات: ١٨٠، ١٨١]، ﴿ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ ﴾ [النحل: ١]، ﴿ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [الإسراء: ٤٣].

وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . .

* * *

الرسالة الثانية
حقيقة لا إله إلا الله

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه، وكل من اتبعه وتمسك بسنته إلى يوم الدين.

أمّا بعد: فإن الله سبحانه وتعالى أمرنا بذكره، وأثنى على الذاكرين ووعدهم أجراً عظيماً، فأمر بذكره مطلقاً، وبعد الفراغ من العبادات، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاَةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ [النساء: ١٠٣]، وقال: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة: ٢٠٠].

وأمر بذكره أثناء أداء مناسك الحج خاصة، فقال تعالى: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٩٨]، وقال تعالى: ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ

عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ﴾ [الحج: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٠٣].

وقال النبي ﷺ: «**أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر لله**»(١).

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢].

ولما كان أفضل الذكر: كلمة لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له - كما ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «**خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير**»(٢)، ولما كانت هذه الكلمة العظيمة (لا إله إلاَّ الله)، لها هذه المنزلة العالية من بين أنواع الذكر، وتتعلق بها أحكام، ولها شروط، ولها معنى ومقتضى، فليست كلمة تقال باللسان فقط - لما كان الأمر كذلك آثرت أن تكون موضوع حديثي في هذه الكلمة المختصرة، راجياً من الله تعالى أن يجعلنا وإياكم من أهلها المستمسكين

---

(١) رواه مسلم، الحديث برقم (١١٤١).

(٢) رواه الترمذي، الحديث برقم (٣٥٨٥).

بها والعارفين لمعناها، العاملين بمقتضاها ظاهراً وباطناً.

وسيكون حديثي عن الكلمة في حدود النقاط التالية:

مكانة لا إله إلاَّ الله في الحياة، وفضلها، وإعرابها، وأركانها وشروطها، ومعناها، ومقتضاها، ومتى ينفع الإنسان التلفظ بهذه الكلمة، ومتى لا ينفعه ذلك، وثمراتها. فأقول مستعيناً بالله تعالى:

١ - أما مكانة هذه الكلمة:

فإنها كلمة يعلنها المسلمون في أذانهم وإقامتهم وفي خطبهم ومحادثاتهم، وهي كلمة قامت بها الأرض والسموات، وخلقت لأجلها جميع المخلوقات، وبها أرسل الله رسله وأنزل كتبه وشرع شرائعه، ولأجلها نصبت الموازين ووضعت الدواوين وقام سوق الجنة والنار، وبها انقسمت الخليقة إلى مؤمنين وكفار، فهي منشأ الخلق والأمر والثواب والعقاب، وهي الحق الذي خلقت له الخليقة، وعنها وعن حقوقها السؤال والحساب، وعليها يقع الثواب والعقاب، وعليها نصبت القبلة، وعليها أسست الملة، ولأجلها جردت سيوف الجهاد، وهي حق الله على جميع العباد، فهي كلمة الإسلام، ومفتاح دار السلام، وعنها يسأل الأولون والآخرون.

فلا تزول قدما العبد بين يدي الله حتى يسأل عن مسألتين: (ماذا كنتم تعبدون، وماذا أجبتم المرسلين؟).

وجواب الأولى: بتحقيق لا إله إلاَّ الله معرفةً وإقراراً وعملاً.

وجواب الثانية: بتحقيق أن محمداً رسول الله معرفةً وانقياداً وطاعة[1].

هذه الكلمة هي الفارقة بين الكفر والإسلام، وهي كلمة التقوى والعروة الوثقى، وهي التي جعلها إبراهيم ﴿**كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** ﴿٢٨﴾﴾ [الزخرف: ٢٨]، وهي التي شهد الله بها لنفسه وشهد بها ملائكته وأولوا العلم من خلقه، قال تعالى: ﴿**شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران: ١٨][2].

وهي كلمة الإخلاص وشهادة الحق، ودعوة الحق، وبراءة من الشرك، ولأجلها خلق الخلق، كما قال تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ**﴾ [الذاريات: ٥٦].

ولأجلها أرسلت الرسل وأنزلت الكتب، كما قال:

---

(١) زاد المعاد، لابن القيم: (١/ ٢).

(٢) انظر مجموعة التوحيد: (١٠٥، ١٦٧).

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾﴾ [النحل: ٢].

قال ابن عيينة: ما أنعم الله على عبد من العباد نعمة أعظم من أن عَرَّفهم لا إله إلاَّ الله.

وإنَّ لا إله إلاَّ الله لأهل الجنة كالماء البارد لأهل الدنيا(١)، فمن قالها عصم ماله ودمه، ومن أباها فماله ودمه هدر؛ ففي الصحيح عن النبي ﷺ قال: «**من قال: لا إله إلاَّ الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه، وحسابه على الله**»(٢)، وهي أول ما يُطْلَبُ من الكفار عندما يدعون إلى الإسلام، فإن النبي ﷺ لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له: «**إنك ستأتي قوماً من أهل الكتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلاَّ الله**»، الحديث أخرجاه في الصحيحين(٣).

---

(١) «كلمة الإخلاص» لابن رجب: (ص ٥٢، ٥٣).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه البخاري: (٥/ ١٠٩)، ومسلم، الحديث برقم (١٩).

وبهذا تعلم مكانتها في الدين وأهميتها في الحياة، وأنها أول واجب على العباد؛ لأنها الأساس تبنى عليه جميع الأعمال.

٢- وأما فضل هذه الكلمة:

فلها فضائل عظيمة ولها من الله مكان، من قالها صادقاً أدخله الله الجنة، ومن قالها كاذباً حقنت دمه وأحرزت ماله، وحسابه على الله عز وجل، وهي كلمة وجيزة اللفظ، قليلة الحروف، خفيفة على اللسان، ثقيلة في الميزان، فقد روى ابن حبان والحاكم وصححه، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**قال موسى: يا رب، علمني شيئاً أذكرك وأدعوك به، قال: يا موسى قل لا إله إلا الله، قال: كل عبادك يقولون هذا، قال: يا موسى، لو أن السموات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع في كفة، ولا إله إلاَّ الله في كفة مالت بهن لا إله إلاَّ الله**»[(١)]، فالحديث يدل على أن لا إله إلاَّ الله هي أفضل الذكر، وفي حديث عبدالله بن عمرو مرفوعاً: «**خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيِّون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا**

(١) رواه ابن حبان (صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان). طبعة مؤسسة الرسالة، الثانية ١٤١٤هـ، الحديث برقم (٦٢١٨) موارد الظمآن.

شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير» رواه أحمد والترمذي[١]، ومما يدل على ثقلها في الميزان أيضاً ما رواه الترمذي وحسنه والنسائي والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم عن عبدالله بن عمرو، قال النبي ﷺ: «إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً، كل سجل مثل مدّ البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئاً؟! أظلمك كتبتي الحافظون، فيقول: لا يا رب، فيقول أفلك عذر؟! فيقول: لا يا رب. فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنة، فإنه لا ظُلْمَ عليك اليوم، فتخرج بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلاَّ الله، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله، فيقول: احضر وزنك، فيقول: يا رب، ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فقال: إنك لا تُظْلَمُ، قال: فتوضع السجلات في كفةٍ، والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة»[٢].

ولهذه الكلمة العظيمة فضائل كثيرة ذكر جملة منها الحافظ ابن رجب في رسالته المسماة (كلمة الإخلاص)

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه الترمذي، الحديث برقم (٣٦٣٩).

واستدل لكل فضيلة، ومنها: أنها ثمن الجنة، ومن كانت آخر كلامه دخل الجنة، وهي نجاة من النار، وهي توجب المغفرة، وهي أحسن الحسنات، وهي تمحو الذنوب، وهي تخرق الحجب حتى تصل إلى الله عز وجل، وهي الكلمة التي يصدق الله قائلها، وهي أفضل ما قاله النبيون، وهي أفضل الذكر، وهي أفضل الأعمال وأكثرها تضعيفاً، وتعدل الرقاب، وتكون حرزاً من الشيطان، وهي أمانٌ من وحشة القبر وهول الحشر، وهي شعار المؤمنين إذا قاموا من قبورهم. ومن فضائلها: أنها تفتح لقائلها أبواب الجنَّة الثمانية يدخل من أيها شاء، ومن فضائلها أن أهلها وإن دخلوا النار بتقصيرهم في حقوقها فإنهم لا بد أن يخرجوا منها.

هذه عناوين الفضائل التي ذكرها ابن رجب في رسالته واستدل لكل واحد منها[١].

٣- إعرابها وأركانها وشروطها:

إذا كان فهم المعنى يتوقف على معرفة إعراب الجمل، فإن العلماء رحمهم الله قد اهتموا بإعراب لا إله إلاَّ الله، فقالوا: إن لا - نافية للجنس -، وإله اسمها مبني معها

---

(١) «كلمة الإخلاص» لابن رجب: (ص ٥٤-٥٦).

على الفتح، وخبرها محذوف تقديره: (حق) أي لا إله حق إلاَّ الله، و (إلاَّ الله) استثناء من الخبر المرفوع، والإله معناه: المألوه بالعبادة، وهو الذي تألهه القلوب وتقصده رغبةً إليه في حصول نفع أو دفع ضرر.

وأما أركان لا إله إلاَّ الله:

فلها ركنان: الركن الأول النفي، والركن الثاني الإثبات.

والمراد بالنفي: نفي الإلهية عما سوى الله تعالى من سائر المخلوقات.

والمراد بالإثبات: إثبات الإلهية لله سبحانه فهو الإله الحق، وما سواه من الآلهة التي اتخذها المشركون فكلها باطلة، ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ**﴾ [الحج: ٦٢].

قال الإمام ابن القيم: فدلالة لا إله إلاَّ الله على إثبات إلهيته أعظم من دلالة قوله: الله إله؛ وهذا لأن قول (الله إله) لا ينفي إلهية ما سواه، بخلاف قول: لا إله إلاَّ الله، فإنه يقتضي حصر الألوهية في الله، ونفيها عما سواه، وقد غلط غلطاً فاحشاً من فسّر الإله بأنه القادر على الاختراع.

قال الشيخ سليمان بن عبدالله في (شرح كتاب التوحيد): فإن قيل: قد تبين معنى الإلهة والإلهية، فما الجواب عن قول من قال بأن معنى الإله: القادر على الاختراع، ونحو هذه العبارة؟

قيل: الجواب من وجهين:

أحدهما: أن هذا قول مبتدع لا يعرف أحد قاله من العلماء ولا من أئمة اللغة، وكلام العلماء وأئمة اللغة هو معنى ما ذكرنا كما تقدم، فيكون هذا القول باطلاً.

الثاني: على تقدير تسليمه فهو تفسير باللازم للإله الحق، فإن اللازم أن يكون خالقاً قادراً على الاختراع، ومتى لم يكن كذلك فليس بإله حق وإن سُمِّي إلهاً، وليس مراده أن من عرف أن الإله هو القادر على الإختراع فقد دخل في الإسلام وأتى بتحقيق المراد من مفتاح دار السلام فإن هذا لا يقوله أحد؛ لأنه يستلزم أن يكون كفار العرب مسلمين، ولو قُدِّر أن بعض المتأخرين أراد ذلك فهو مخطئ يرد على بالدلائل السمعية والعقلية[1].

---

(١) «تيسير العزيز الحميد»: (ص ٨٠).

وأما شروط لا إله إلاَّ الله:

فإنها لا تنفع قائلها إلاَّ بسبعة شروط:

الأول: العلم بمعناها نفياً وإثباتاً.

الثاني: اليقين وهو كمال العلم بها المنافي للشك والريب.

الثالث: الإخلاص المنافي للشرك.

الرابع: الصدق المانع من النفاق.

الخامس: المحبة لهذه الكلمة ولما دلت عليه والسرور بذلك.

السادس: الانقياد بأداء حقوقها وهي الأعمال الواجبة إخلاصاً لله وطلباً لمرضاته.

السابع: القبول المنافي للرد[1].

وهذه الشروط قد استنبطها العلماء من نصوص الكتاب والسنَّة التي جاءت بخصوص هذه الكلمة العظيمة وبيان حقوقها وقيودها.

٤ - معنى هذه الكلمة ومقتضاها:

معنى لا إله إلاَّ الله: أي: لا معبود بحق إلاَّ الله واحد، وهو الله وحده لا شريك له، فتضمنت هذه الكلمة العظيمة

(١) «فتح المجيد»: (ص ٩١).

أن ما سوى الله من سائر المعبودات ليس بإله حق وأنه باطل.

ولهذا كثيراً ما يرد الأمر بعبادة الله مقروناً بنفي عبادة ما سواه؛ لأن عبادة الله لا تصح مع إشراك غيره معه، قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال ﷺ: **«من قال: لا إله إلاَّ الله وكفر بما يُعْبَدُ من دون الله حرم ماله ودمه»**[1]، الحديث.

وكان كل رسول يقول لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩]، إلى غير ذلك من الأدلة، قال الإمام ابن رجب رحمه الله: وتحقيق هذا المعنى وإيضاحه أن قول العبد: لا إله إلاَّ الله يقتضي أن لا إله له غير الله، والإله هو الذي يطاع فلا يعصى هيبة له وإجلالاً، ومحبة وخوفاً ورجاءً وتوكلاً عليه وسؤالاً منه ودعاءً له ولا

---

(١) تقدم تخريجه.



يصلح لذلك كله إلاَّ الله عز وجل.

ولهذا لما قال النبي ﷺ لكفار قريش: «قولوا: لا إله إلاَّ الله»(١) قالوا: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥]، ففهموا من هذه الكلمة أنها تبطل عبادة الأصنام كلها وتحصر العبادة لله وحده وهم لا يريدون ذلك، فتبين بهذا المعنى أن معنى لا إله إلاَّ الله ومقتضاها: إفراد الله بالعبادة وترك عبادة ما سواه، فإذا قال العبد: لا إله إلاَّ الله، فقد أعلن وجوب إفراد الله بالعبادة وبطلان عبادة ما سواه من الأصنام والقبور والأولياء والصالحين.

وبهذا يبطل ما يعتقده عباد القبور اليوم وأشباههم من أن معنى لا إله إلاَّ الله: هو الإقرار بأن الله موجود أو أنه هو الخالق القادر على الاختراع وأشباه ذلك. أو أن معناها: لا حاكمية إلاَّ لله. ويظنون أن من اعتقد ذلك وفسّر به لا إله إلاَّ الله فقد حقق التوحيد المطلق، ولو فعل ما فعل من عبادة غير الله والاعتقاد بالأموات والتقرب إليهم بالذبائح والنذور والطواف بقبورهم والتبرك بتربتهم.

وما شعر هؤلاء أن كفار العرب الأولين يشاركونهم في

---

(١) تقدم تخريجه.



هذا الاعتقاد، ويعرفون أن الله هو الخالق القادر على الاختراع، ويقرون بذلك، وأنهما ما عبدوا غيره إلاَّ لزعمهم أنهم يقربونهم إلى الله زلفى، لا أنهم يخلقون ويرزقون.

ولو كان معنى لا إله إلاَّ الله ما زعمه هؤلاء لم يكن بين الرسول ﷺ وبين المشركين نزاع، بل كانوا يبادرون إلى إجابة الرسول ﷺ إذا قال لهم بزعم هؤلاء: أقرّوا بأن الله هو القادر على الاختراع، لكن القوم - وهم أهل اللسان العربي - فهموا أنهم إذا قالوا: (لا إله إلاَّ الله) فقد أقروا ببطلان عبادة الأصنام، وأن هذه الكلمة ليست مجرد لفظ لا معنى له؛ ولهذا نفروا منها، وقالوا: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝﴾ [ص: ٥]، كما قال الله عنهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۝ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ۝﴾ [الصافات: ٣٥، ٣٦]، فعرفوا أن لا إله إلاَّ الله تقتضي ترك عبادة ما سوى الله، وإفراد الله بالعبادة، وأنهم لو قالوها واستمروا على عبادة الأصنام لتناقضوا مع أنفسهم، وعباد القبور اليوم لا يأنفون من هذا التناقض الشنيع فهم يقولون لا إله إلاَّ الله، ثم ينقضونها بعبادة الأموات والتقرب إلى



الأضرحة بأنواع من العبادات، فتباً لمن كان أبو جهل وأبو لهب أعلم منه بمعنى لا إله إلاَّ الله.

والحاصل أن من قال هذه الكلمة عارفاً لمعناها عاملاً بمقتضاها ظاهراً وباطناً من نفي الشرك وإثبات العبادة لله مع الاعتقاد الجازم لما تضمنته والعمل به فهو المسلم حقاً، ومن قالها وعمل بمقتضاها ظاهراً من غير اعتقاد لما دلت عليه فهو المنافق، ومن قالها بلسانه وعمل بخلافها من الشرك المنافي لها فهو الكافر ولو قالها آلاف المرات؛ لأن عمله يبطل نطقه بها، فلا بد مع النطق بهذه الكلمة من معرفة معناها؛ لأن ذلك وسيلة للعمل بمقتضاها، قال تعالى: ﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [الزخرف: ٨٦]، والعمل بمقتضاها وهو ترك عبادة ما سوى الله وعبادة الله وحده هو الغاية من هذه الكلمة.

٥- متى ينفع الإنسان قول لا إله إلاَّ الله:

سبق أن قلنا: إن قول: لا إله إلاَّ الله لا بد أن يكون مصحوباً بمعرفة معناها والعمل بمقتضاها، ولكن لما كان هناك نصوص قد يتوهم منها أن مجرد التلفظ بها يكفي، وقد تعلق بهذا الوهم بعض الناس فاقتضى الأمر إيضاح

ذلك لإزالة هذا الوهم عمن يريد الحق، قال الشيخ سليمان بن عبدالله - رحمه الله - على حديث عتبان الذي فيه: «**فإن الله قد حرم على النار من قال: لا إله إلاَّ الله يبتغي بذلك وجه الله**»[١]، قال: اعلم أنه قد وردت أحاديث ظاهرها أنه من أتى بالشهادتين حرم على النار، كهذا الحديث، وحديث أنس قال: كان النبي ﷺ ومعاذ رديفه على الرحل فقال: «**يا معاذ**»، قال: لبيك يا رسول الله وسعديك، قال: «**ما من عبد يشهد أن لا إله إلاَّ الله وأنَّ محمداً رسول الله إلاَّ حرمه الله على النار**»[٢]، ولمسلم عن عبادة مرفوعاً: «**من شهد أن لا إله إلاَّ الله وأنَّ محمداً رسول الله حرم الله عليه النار**»[٣].

وردت أحاديث فيها أن من أتى بالشهادتين دخل الجنة وليس فيها أنه يحرم على النار، منها حديث عبادة الذي تقدم قريباً وحديث أبي هريرة: أنهم كانوا مع النبي ﷺ في غزوة تبوك. الحديث، وفيه. فقال رسول الله ﷺ:

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه البخاري: (١/ ٤١)، ومسلم، الحديث برقم (٣٢) واللفظ له.

(٣) رواه مسلم، الحديث برقم (٢٩).

«**أشهد أن لا إله إلاَّ الله وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبد شاك فيحجب عن الجنة**»، رواه مسلم[١].

قال: وأحسن ما قيل في معناه ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره: إن هذه الأحاديث إنما هي فيمن قالها ومات عليها كما جاءت مقيدة، وقالها خالصاً من قلبه مستيقناً بها قلبه غير شاك فيها بصدق ويقين، فإن حقيقة التوحيد انجذاب الروح إلى الله جملة، فمن شهد أن لا إله إلاَّ الله خالصاً من قلبه دخل الجنة؛ لأن الإخلاص هو انجذاب القلب إلى الله تعالى بأن يتوب من الذنوب توبة نصوحاً، فإذا مات على تلك الحال نال ذلك، فإنه قد تواترت الأحاديث بأنه يخرج من النار من قال: لا إله إلاَّ الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة وما يزن خردلة وما يزن ذرة، وتواترت بأن كثيراً ممن يقول: لا إله إلاَّ الله، يدخل النار ثم يخرج منها، وتواترت بأن الله حرّم النار أن تأكل أثر السجود من ابن آدم، فهؤلاء كانوا يصلون ويسجدون لله، وتواترت بأنه يحرم على النار من قال: لا إله إلاَّ الله، ومن يشهد أن لا إله إلاَّ الله وأنَّ

---

(١) رواه مسلم، الحديث برقم (٢٧).



محمداً رسول الله، لكن جاءت مقيدة بالقيود الثقال، وأكثر من يقولها لا يعرف الإخلاص ولا اليقين، ومن لا يعرف ذلك يخشى عليه أن يفتن عنها عند الموت فيحال بينه وبينها، وأكثر من يقولها يقولها تقليداً، وعادة لم يخالط الإيمان بشاشة قلبه، وغالب من يفتن عند الموت وفي القبور أمثال هؤلاء، كما في الحديث أن أحدهم يقول: سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته[1]. وغالب أعمال هؤلاء إنما هو تقليد واقتداد بأمثالهم، وهم أقرب الناس من قوله تعالى عن المشركين: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الزخرف: ٢٣]، وحينئذٍ فلا منافاة بين الأحاديث، فإنه إذا قالها بإخلاص ويقين تام لم يكن في هذه الحال مصراً على ذنب أصلاً، فإن كمال إخلاصه ويقينه يوجب أن يكون الله أحب إليه من كل شيء، فإذن لا يبقى في قلبه إرادة لما حرم الله ولا كراهية لما أمر الله، وهذا هو الذي يحرم على النار، وإن كانت له ذنوب قبل ذلك، فإن هذا الإيمان، وهذه التوبة، وهذا الإخلاص، وهذه المحبة، وهذا اليقين لا تترك له ذنباً إلاَّ يمحى كما

(١) رواه البخاري: (١/ ٣٠)، ومسلم، الحديث برقم (٩٠٥).

يمحى الليل بالنهار. انتهى كلامه رحمه الله[١].

وقال الشيخ محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله - في (كشف الشبهات)[٢]:

ولهم شبهة أخرى، يقولون: إن النبي ﷺ أنكر على أسامة قتل من قال: لا إله إلاَّ الله، وقال: «**أقتلته بعدما قال: لا إله إلاَّ الله**»[٣]، وأحاديث أخرى في الكف عمن قالها، ومراد هؤلاء الجهلاء: أن من قالها لا يكفر ولا يقتل لو فعل ما فعل، فيقال لهؤلاء الجهال: معلوم أن رسول الله ﷺ قاتل اليهود وسباهم وهم يقولون: (لا إله إلاَّ الله)، وأصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة وهم يشهدون أن لا إله إلاَّ الله وأنَّ محمداً رسول الله، ويصلون، ويدّعون الإسلام، وكذلك الذين حرقهم علي بن أبي طالب، وهؤلاء الجهلة مقرون أن من أنكر البعث كُفِّر وقُتِل ولو قال: لا إله إلاَّ الله، وأن من جحد شيئاً من أركان الإسلام كُفِّر وقُتِل ولو قالها، فكيف لا تنفعه إذا

---

(١) «تيسير العزيز الحميد بشرح كتاب التوحيد»: (ص ٦٦، ٦٧).

(٢) انظر «مجموعة التوحيد»: (ص ١٢٠، ١٢١).

(٣) رواه البخاري: (٨/ ٣٦).

جحد شيئاً من الفروع وتنفعه إذا جحد التوحيد الذي هو أصل دين الرسل ورأسه؟! ولكن أعداء الله ما فهموا معنى الأحاديث.

وقال رحمه الله: فأما حديث أسامة فإنه قتل رجلاً ادّعى الإسلام بسبب أنه ظن أنه ما ادعاه إلاّ خوفاً على دمه وماله، والرجل إذا أظهر الإسلام وجب الكف عنه حتى يتبين منه ما يخالف ذلك، وأنزل الله في ذلك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾ [النساء: ٩٤]، أي: (فتثبتوا)، فالآية تدل على أنه يجب الكف عنه والتثبت، فإن تبين بعد ذلك ما يخالف الإسلام قتل؛ لقوله: ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾، ولو كان لا يقتل إذا قالها لم يكن للتثبت معنى، وكذلك الحديث الآخر وأمثاله معناه ما ذكرناه من أن من أظهر الإسلام والتوحيد وجب الكف عنه إلاّ إن تبين منه ما يناقض ذلك.

والدليل على هذا أن الرسول ﷺ الذي قال: «أقتلته بعدما قال: لا إله إلاّ الله»[1]، وقال: «**أُمرت أن أقاتل الناس**

---

(١) تقدم تخريجه.

حتى يقولوا: **لا إله إلاَّ الله**»[١]، هو الذي قال في الخوارج: «**فأينما لقيتموهم فاقتلوهم**»[٢] و «**لئن أنا أدركتهم قتلتهم قتل عاد**»[٣]، مع كونهم من أكثر الناس تهليلاً حتى إن الصحابة يحقْرون أعمالهم عندهم، وهم تعلموا العلم من الصحابة، فلم تنفعهم لا إله إلاَّ الله، ولا كثرة العبادة، ولا ادعاء الإسلام؛ لما ظهر منهم مخالفة الشريعة، وكذلك ما ذكرناه من قتال اليهود وقتال الصحابة بني حنيفة.

وقال الحافظ ابن رجب في رسالته المسماة: (كلمة الإخلاص)[٤] على قوله ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلاَّ الله، وأنَّ محمداً رسول الله**»[٥]، قال: ففهم عمر وجماعة من الصحابة أن من أتى بالشهادتين امتنع من عقوبة الدنيا بمجرد ذلك فتوقفوا في قتال مانعي الزكاة، وفهم الصديق أنه لا يمتنع قتاله إلاَّ بأداء حقوقها؛ لقوله ﷺ: «**فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم إلاَّ**

---

(١) تقدم تخريجه.
(٢) رواه أبو داود، الحديث برقم (٤٧٦٧).
(٣) رواه أبو داود، الحديث برقم (٤٧٦٤).
(٤) (ص ١٣، ١٤).
(٥) تقدم تخريجه.

بحقها، وحسابهم على الله»[١]، وقال: «الزكاة حق المال»[٢]، وهذا الذي فهمه الصديق قد رواه عن النبي ﷺ صريحاً غير واحد من الصحابة منهم ابن عمر وأنس وغيرهما، وأنه قال: «أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلاَّ الله، وأنَّ محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة»[٣]، وقد دل ذلك قوله تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥].

كما دل قوله تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [التوبة: ١١]، على أن الأخوة في الدين لا تثبت إلاَّ بأداء الفرائض مع التوحيد فإن التوبة من الشرك لا تحصل إلاَّ بالتوحيد، فلما قرر أبو بكر هذا للصحابة رجعوا إلى قوله ورأوه صواباً، فإذا علم أن عقوبة الدنيا لا ترتفع عمن أدى الشهادتين مطلقاً، بل يعاقب بإخلاله بحق من حقوق الإسلام، فكذلك عقوبة الآخرة، وقال أيضاً[٤]: وقالت طائفة من العلماء: المراد

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه مسلم، الحديث برقم (٢٢).

(٤) في (ص ٩، ١١) في رسالته «كلمة الإخلاص».

من هذه الأحاديث أن التلفظ بلا إله إلاَّ الله سبب لدخول الجنة والنجاة من النار ومقتضٍ لذلك.

ولكن المقتضي لا يعمل عمله إلاَّ باستجماع شروطه وانتفاء موانعه، فقد يتخلف عنه مقتضاه لفوات شرط من شروطه أو لوجود مانع، وهذا قول الحسن ووهب بن منبه وهو الأظهر، ثم ذكر عن الحسن البصري أنه قال للفرزدق وهو يدفن امرأته: ما أعددت لهذا اليوم؟ قال: شهادة أن لا إله إلاَّ الله منذ سبعين سنة، قال الحسن: نعم العدة، لكن للا إله إلاَّ الله شروط، فإياك وقذف المحصنات، وقيل للحسن: إن أناساً يقولون: من قال: لا إله إلاَّ الله دخل الجنة، فقال: من قال: لا إله إلاَّ الله فأدّى حقها وفرضها دخل الجنة، وقال وهب بن منبه لمن سأله: أليس لا إله إلاَّ الله مفتاح الجنة؟ قال: بلى، ولكن ما من مفتاح إلاَّ له أسنان، فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك، وإلاَّ لم يُفتح لك!!

وأظن أن في هذا القدر الذي نقلته من كلام أهل العلم كفاية في رد هذه الشبهة التي تعلق بها من ظن أن من قال: لا إله إلاَّ الله لا يكفر ولو فعل من أنواع الشرك

الأكبر التي تمارس اليوم عند الأضرحة وقبور الصالحين مما يناقض كلمة لا إله إلاَّ الله تمام المناقضة، ويضادها تمام المضادة، وهذه طريقة أهل الزيغ الذين يأخذون ما يظنون أنه حجة لهم من النصوص المجملة، ويتركون ما تبينه وتوضحه النصوص المفصلة، كحال الذين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض، وقد قال الله في هذا النوع من الناس: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ (٧) رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ (٨) رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ (٩)﴾ [آل عمران: ٧ - ٩].

٦- آثار لا إله إلاَّ الله:

لهذه الكلمة إذا قيلت بصدق وإخلاص وعمل بمقتضاها ظاهراً وباطناً - آثار حميدة على الفرد والجماعة، من أهمها:

١- اجتماع الكلمة التي ينتج عنها حصول القوة للمسلمين،

والانتصار على عدوهم؛ لأنهم يدينون بدين واحد وعقيدة واحدة، كما قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنفال: ٦٢، ٦٣].

والاختلاف في العقيدة يسبب التفرق والنزاع والتناحر، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

وقال تعالى: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [المؤمنون: ٥٣].

فلا يجمع الناس سوى عقيدة الإيمان والتوحيد التي هي مدلول لا إله إلا الله، واعْتَبِرْ ذلك بحالة العرب قبل الإسلام وبعده.

٢- توفر الأمن والطمأنينة في المجتمع الموحد الذي يدين بمقتضى لا إله إلاَّ الله؛ لأن كلاً من أفراده يأخذ ما أحل الله له ويترك ما حرم الله عليه تفاعلاً مع عقيدته التي تملي عليه ذلك فينكف عن الاعتداء والظلم والعدوان،



ويحل محل ذلك التعاون والمحبة والموالاة في الله، عملاً بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

يظهر هذا جلياً في حالة العرب قبل أن يدينوا بهذه الكلمة وبعد ما دانوا بها، فقد كانوا من قبل أعداء متناحرين، يفتخرون بالقتل والنهب والسلب، فلما دانوا بها أصبحوا إخوة متحابين، كما قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

٣- حصول السيادة والاستخلاف في الأرض وصفاء الدين والثبوت أمام تيارات الأفكار والمبادئ المختلفة، كما قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].

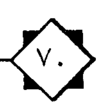
فربط سبحانه حصول هذه المطالب العالية بعبادته وحده لا شريك له، الذي هو معنى ومقتضى لا إله إلاَّ الله.

٤- حصول الطمأنينة النفسية والاستقرار الذهني لمن قال: لا إله إلاَّ الله، وعمل بمقتضاها؛ لأنه يعبد رباً واحداً يعرف مراده وما يرضيه فيفعله ويعرف ما يسخطه فيجتنبه، بخلاف من يعبد آلهة متعددة، كل واحد منها له مراد غير مراد الآخر، وله تدبير غير تدبير الآخر، كما قال تعالى: ﴿ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ [يوسف: ٣٩].

وقال تعالى: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً ﴾ [الزمر: ٢٩].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: هذا مثل ضربه الله سبحانه للمشرك والموحد، فالمشرك بمنزلة عبد يملكه جماعة متنازعون مختلفون متشاحنون، والرجل المتشاكس: السيء الخلق.

فالمشرك لما كان يعبد آلهة شتى شُبِّه بعبد يملكه جماعة متنافسون في خدمته لا يمكنه أن يبلغ رضاهم أجمعين، والموحد لما كان يعبد الله وحده فمثله كمثل عبد لرجل واحد قد سلم له وعلم مقاصده وعرف الطريق إلى رضاه فهو في راحة من تشاحن الخلطاء فيه، بل هو سالم لمالكه من غير تنازع فيه مع رأفة مالكه ورحمته له



وشفقته عليه وإحسانه إليه وتوليه لمصالحه، فهل يستوي هذان العبدان؟[١].

٥- حصول السمو والرفعة لأهل لا إله إلاَّ الله في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿ **حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ** (٣١) ﴾ [الحج: ٣١].

فدلت الآية على أن التوحيد علو وارتفاع، وأن الشرك هبوط وسفول وسقوط.

قال العلاَّمة ابن القيم رحمه الله: شُبِّه الإيمان والتوحيد في علوه وسعته وشرفه بالسماء التي هي مصعده ومهبطه، فمنها هبط إلى الأرض وإليها يصعد منها، وشُبِّه تارك الإيمان والتوحيد بالساقط من السماء إلى أسفل سافلين من حيث التضييق الشديد والآلام المتراكمة، والطير التي تخطف أعضاءه وتمزقه كل ممزق بالشياطين التي يرسلها الله تعالى وتؤزه وتزعجه وتقلقه إلى مظان هلاكه، والريح التي تهوي به في مكان سحيق هو هواه الذي يحمله على إلقاء نفسه في أسفل مكان وأبعده عن السماء.

---

(١) «إعلام الموقعين»: (١/ ١٨٧).

٦- عصمة الدم والمال والعرض؛ لقوله ﷺ: «**أُمِرْتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلاَّ الله، فإذا قالوا: لا إله إلاَّ الله عصموا مني دماءهم وأموالهم إلاَّ بحقها**»[1]، وقوله: «**بحقها**» معناه: أنهم إذا قالوها وامتنعوا من القيام بحقها وهو أداء ما تقتضيه من التوحيد والابتعاد عن الشرك والقيام بأركان الإسلام أنها لا تعصم أموالهم ولا دماءهم، بل يقتلون ويؤخذ أموالهم؛ غنيمة للمسلمين كما فعل بهم النبي ﷺ وخلفاؤه.

هذا، ولهذه الكلمة آثار عظيمة على الفرد والجماعة في العبادات والمعاملات والآداب والأخلاق.

وبالله التوفيق، وصلَّى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

* * *

---

(١) تقدم تخريجه.



الرسالة الثالثة
مجمل عقيدة السلف الصالح

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد خاتم النبيِّين، وإمام المرسلين، والمبعوث رحمةً للعالمين، بلَّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، فأكمل الله به الدّين، وأتمَّ به النعمة، وأوجب على الخلق طاعته واتباعه، وأوجب عليهم محبته أكثر مما يُحبُّون أنفسهم ووالديهم وأولادهم والناس أجمعين.

أمّا بعد: سنتناول إن شاء الله موضوعاً يهم كل مسلم ومسلمة، ألا وهو (العقيدة) فهي الأساس المصحِّح لجميع الأعمال، فكل عمل لا يبنى على عقيدة سليمة فإنه مردود على صاحبه مهما أتعب نفسه، ومهما أفنى حياته فيه.

والعقيدة هي أساس الدين، وخلاصة دعوة الأنبياء والمرسلين من أولهم إلى آخرهم، كما يسأل عنها العبد يوم القيامة، وقد ورد في الأثر: (كلمتان يُسأل عنهما الأولون والآخرون: ماذا كنتم تعبدون؟ وماذا أجبتم

المرسلين؟).

هاتان الكلمتان يُسأل عنهما كل مخلوق يوم القيامة.

وجواب الأولى: شهادة أن لا إله إلاَّ الله، وجواب الثانية: شهادة أنَّ محمداً رسول الله قولاً وعملاً.

العقيدة الصحيحة الثابتة:

العقيدة الصحيحة هي التي جاء بها رسول الله ﷺ، ودعا إليها، وقد بيّن عليه الصلاة والسلام أن الأمة ستفترق من بعده على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلاَّ واحدة، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «**ما أنا عليه وأصحابي**»[1].

فمن وافق اعتقاده ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه من المعتقدات، فإنه ينجو من عذاب الله ويُدخَل الجنة؛ لذا سميت الفرقة الملتزمة بهذه العقيدة والثابتة عليها (بالفرقة الناجية).

وسبب تسميتها بهذا الاسم يرجع إلى كونها الناجية من عذاب الله، وذلك من بين ثلاث وسبعين فرقة، أما الفرق الباقية فهي في النار والعياذ بالله.

---

(١) رواه الترمذي، الحديث برقم (٢٦٤١).

إذن فالفرقة الناجية: هي (أهل السنَّة والجماعة) في كل زمان، بداية من الرسول ﷺ وصحابته، ونهاية بآخر هذه الأمة المحمدية عند قيام الساعة، كما ورد في الحديث: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرّهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك**»(1).

الحق واحـد لا يتجـزأ:

نعم، تعددت الفرق، وتعددت النِّحل والمذاهب، وتعددت الأقوال، ولكن الحق - دائماً وأبداً - واحد لا يتعدّد ولا يتشعب، وهذا ديدن رسول الله ﷺ، قال جلَّ وعلا: ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴿١٥٣﴾﴾ [**الأنعام**: ١٥٣].

وصراط الله: هو الذي بعث الله به رسوله ﷺ، وسار عليه صحابته الكرام، والقرون المفضلة، ومن اقتفى أثرهم من متأخري هذه الأمة إلى أن تقوم الساعة، ذلكم هو صراط الله، أمَّا ما خالف هذا الصراط واختلف عنه فإنها سبل.

---

(1) رواه البخاري: (١/ ٢٥، ٢٦)، ومسلم، الحديث برقم (١٩٢٠) واللفظ له.



وقد خطَّ النبي ﷺ خطاً مستقيماً، وخطَّ على جنبيه خطوطاً متعرِّجة، فقال عليه الصلاة والسلام عن الخط المستقيم: «هذا سبيل الله»، وقال عن الخطوط الجنابية المتفرقة: «**وهذه سبل، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه**»(١).

فهذا بيان إيضاحي من الرسول لمعنى هذه الآية الكريمة: ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ**﴾ [الأنعام: ١٥٣].

إذن فأصحاب العقيدة السليمة، وأصحاب النجاة من الضلالة ومن النار ومن الأهواء، هم جماعة واحدة، هم (أهل السنَّة والجماعة) جعلنا الله وإياكم منهم، وجمعنا بهم، ورزقنا السير على نهجهم إلى يوم أن نلقاه.

منزلة الطائعين لله ورسوله:

أهل السنَّة والجماعة قد يقلّون في بعض الأزمان، وقد يكثرون، وقد لا يكون منهم إلاَّ عدد قليل، لكن فيهم البركة والخير؛ لأنهم على الحق، ومن كان على الحق فإنه لا يخاف من القلّة، ولا يخشى من كثرة الأعداء.

قال الله تعالى: ﴿**وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ**

---

(١) رواه الدارمي، الحديث برقم (٢٠٨)، وابن ماجه، الحديث برقم (١١).



أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ [النساء: ٦٩]، فمن كان رفقته هؤلاء الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، فممّ يخاف إذن؟

الصابرون ابتغاء مرضاة الله :

لكن هذا يحتاج من العبد أن يكون على بصيرة وعلم وبحث عن سبيل هؤلاء، والصبر عليه، وتحمّل أذى من خالفه.

فالصابر على صراط الله، وعلى الدين الحق، وعلى السنَّة يلقى عنتاً من الناس، ويلقى لوماً وعتاباً، وربما يصل ذلك إلى حد التعذيب والقتل والتشريد، ولكنه ما دام على الحق فلا يضيره كيد الكائدين، وإن أصيب في دنياه فإن العاقبة له، والعاقبة للمتقين.

عقيدة أهل السنَّة والجماعة:

عقيدة أهل السنَّة والجماعة: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والإيمان بالقدر خيره وشره.

وهذه الأصول خالف فيها من خالف، وانحرف عنها من انحرف من الفرق الثنتين والسبعين.

ولكن أهل الحق ثابتون على الحق، مع ما يجابهون من الامتحان والضغط الموجَّهين إليهم من الناس، ولكنهم ثابتون على الحق ولا يريدون للحق بديلاً.

معنى الإيمان بالله :

فالإيمان بالله يعني: الاعتقاد الجازم بوحدانية الله سبحانه وتعالى في الربوبية والألوهية، وما له من الأسماء والصفات، وهذا يعني: أن أنواع التوحيد ثلاثة:

- توحيد الربوبية.
- توحيد الألوهية.
- توحيد الأسماء والصفات.

النوع الأول: توحيد الربوبية:

وهو مركوز في الفطر، لا يكاد ينازع فيه من الخلق، حتى إبليس الذي هو رأس الكفر قال: ﴿رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ [الحجر: ٣٩]، وقال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾﴾ [ص: ٨٢]، فهو قد أقرَّ بربوبية الله، وحلف بعزة الله.

كذلك سائر الكفرة، مُقرّون بهذا؛ كأبي جهل وأبي لهب وخلافهم من أئمة الكفر كانوا مُقرِّين بتوحيد الربوبية على ما هم فيه من الكفر والضلال، قال جلَّ وعلا: ﴿وَلَئِن



سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]، وقال تعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ [المؤمنون: ٨٦، ٨٧]، وقال جلَّ شأنه: ﴿قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ [المؤمنون: ٨٨، ٨٩]، وقال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ [يونس: ٣١].

إذن فهم مُقِرُّون بهذا كلّه، وعند الشدائد يخلصون الدعاء لله؛ لأنهم يعلمون أنه لا يُنجي من الشدائد إلاَّ الله سبحانه وتعالى، وأن آلهتهم وأصنامهم لا تقدر على إنجائهم من المهالك.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾ [الإسراء: ٦٧].

إن معتنق هذا النوع من التوحيد لا يدخل في الإسلام ولا ينجو من النار، فالكفار على سبيل المثال أقرّوا بتوحيد الربوبية، ولكن إقرارهم بذلك لم يدخلهم في الإسلام،



وسمّاهم الله مشركين وكفاراً، وحكم لهم بالخلود في النار مع أنهم يقرّون بتوحيد الربوبية.

ومن هنا يخطئ بعض المصنفين في العقائد - على طريقة أهل الكلام - حين يفسّرون التوحيد بأنه الإقرار بوجود الله، وأنه الخالق الرازق إلى غير ذلك، فنقول لهم: هذه ليست العقيدة التي بعث الله بها النبيِّين، فإن الكفار والمشركين، وحتى إبليس يقرون بتوحيد الربوبية.

فالكل يقرّ ويعترف بهذا النوع من التوحيد، فإن الرسل ما جاءت تطالب الناس بأن يقرّوا بأن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت؛ لأن هذا لا يكفي ولا يغني من عذاب الله.

النوع الثاني: توحيد الألوهية:

هو توحيد العبادة، توحيد الإرادة والقصدة، وهذا النوع هو محطُّ الرحال ومحلُّ الخصومة بين الرسل وأممهم، فكل رسول جاء يقول لقومه: ﴿**يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ**﴾ [الأعراف: ٥٩]، ولا يقول لهم: يا قوم، أقرّوا أن الله هو ربكم؛ لأنهم مقرّون بهذا، ولكنهم يُطالبونهم بأن يعبدوا ربهم الذي أقروا بربوبيته، وأنه الخالق وحده،

والرازق وحده، والذي يدبّر الأمر وحده، ويطالبونهم بأن يفردوه بالعبادة وحده، كما أفردوه بالخلق، والتدبير، فهم يحتجّون عليهم بما أقروا به.

يذكر القرآن الكريم توحيد الربوبية من باب الاحتجاج به على الكفار ومطالبتهم بما يلزمهم، فما دمتم أيها الكفار معترفين أن الله هو الخالق وحده، وهو الرزاق وحده، وهو الذي يُنجي من المهالك، وهو الذي يُنجي من الشدائد فلماذا تعدلون به غيره ممن لا يخلق، ولا يرزق، وليس له من الأمر شيء، ولا له في الخلق تدبير؟! ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [النحل: ١٧].

إذن توحيد الألوهية هو الذي دعا إليه الرسل، وطلبوا قومهم به، ولا يزال الصراع بين أهل التوحيد وأهل الإنحراف في هذا النوع حتى الآن، فأهل العقيدة السليمة يطالبون مَن انحرف عن توحيد الألوهية، وعاد إلى دين المشركين؛ بعبادة القبور والأضرحة، وتقديس الأشخاص، ومنحهم شيئاً من خصائص الربوبية. فأهل التوحيد يطالبون هؤلاء بأن يرجعوا إلى العقيدة السليمة، وأن يفردوا الله بالعبادات، وأن يتركوا هذا الأمر الخطير الذي هم عليه؛



لأن هذا هو دين الجاهلية، بل هو أشد من دين الجاهلية؛ لأن أهل الجاهلية كانوا يخلصون لله في حال الشدّة، ويشركون في حال الرخاء.

أما هؤلاء - أهل الإنحراف - فإن شركهم دائم في الرخاء والشدة، بل إن شركهم في الشدّة أشد. فإذا اشتد عليهم الأمر تسمع منهم طلباً بالمدد من الأولياء، والمقبورين، والموتى، بينما المشركون إذا مسّهم الضر أخلصوا الدعاء لله عز وجل.

هـذا هـو النـوع الثانـي من أنـواع التوحيـد، وهو الذي طالبت به الرسل جميع الأمم بأن يخلصوا لله عز وجل، وهو الذي وقع النزاع فيه، وهو الذي قاتل عليه رسول الله ﷺ المشركين حتى يتركوه.

وهذا هو معنى لا إله إلاَّ الله؛ لأن الإله معناه: المعبود، فمِنْ (لا إله إلاَّ الله) نأخذ معنى: لا معبود بحق إلاَّ الله سبحانه وتعالى.

وليس الإله معناه ما يقوله بعض أهل الضلال حيث يقولون: إن الإله معناه القادر على الاختراع والخلق! لا، بل الإله معناه: المعبود، من ألّه يأله بمعنى: أحب وعبد.



النوع الثالث: هو توحيد الأسماء والصفات:

ومعناه: أن نثبت لله عز وجل ما أثبته لنفسه، وما أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات، وأن ننفي عن الله ما نفاه عن نفسه، ونفاه عنه رسوله ﷺ من النقائص والعيوب من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل؛ لقوله تعالى: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ [الشورى: ١١]، وقوله تعالى: ﴿**فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ** ﴿٧٤﴾﴾ [النحل: ٧٤]، وما جاء في آية الكرسي، وفي سورة الإخلاص، وفي أغلب السور المكيّة بذكر أسماء الله وصفاته، والسور المدنيّة، بل أغلب القرآن.

وكثير من من آيات القرآن لا تخلو من ذكر أسماء الله وصفاته، ومع مطلع كل سورة: ﴿**بسم الله الرحمن الرحيم**﴾، ومعناها: إثبات الإسم لله، وإثبات الرحمن والرحيم، إلى غير ذلك من كمال الصفات لله عز وجل.

والله - جل وعلا - وصف نفسه بصفات، وسمّى نفسه بأسماء، فيجب علينا أن نثبت ذلك ونعتقده على ما جاء في كتاب الله، لا نتدخل بعقولنا، ولا نؤول بأفهامنا،

ومداركنا، ولا نحكم على على الله سبحانه وتعالى؛ لأن الله أعلم بنفسه من غيره، فالله جل وعلا يقول: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [طه: ١١٠]، ويقول جل وعلا: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥٥].

ونهانا الله عز وجل أن نضرب له الأمثال، وأن نتخذ معه الأنداد والوزراء والشبهاء؛ لأن الله لا شبيه له ولا مثيل، ولا شريك له ولا ند، سبحانه وتعالى عمّا يشركون.

وقد تعبدنا الله جل وعلا بأن ندعوه بأسمائه وصفاته، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

فهو سبحانه أوضح لنا ما يلي:

أولاً: أثبت لنفسه الأسماء ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾.

ثانياً: وصفها بأنها حسنى، فكل أسماء الله حسنى.

ثالثاً: أمرنا أن ندعوه بها.



رابعاً: نهانا عن الإلحاد في أسمائه.

ومعنى الإلحاد: الميل، والإلحاد في أسماء الله: هو الميل بها عما دلَّتْ عليه، بتحريفها وتأويلها إلى ما لا تحتمله، وليس بمرادٍ لله سبحانه وتعالى منها، كما يفعله الجهمية والمعتزلة ومَن سار على خطتهم من الفرق الضالّة.

عقيدة أهل السنَّة والجماعة:

أما أهل السنَّة والجماعة فإنهم على خط مستقيم في هذا الأمر، وفي جميع أمور دينهم كذلك - والحمد لله - ولكن في باب العقيدة يخصونه بمزيد اهتمام، ومزيد عناية؛ لأن الضلال فيه ضلال كبير، والخطأ فيه عظيم، ومزلة أقدام ومضلة أفهام،، والخطأ في العقيدة ليس كالخطأ فيما دونها؛ لأن الذي يخطئ في العقيدة يُخشى عليه من الكفر والانحراف الشديد، والضلال البعيد.

أما الذي يخطئ فيما دون ذلك فإن خطأه أخف وإنْ كان الخطأ في الدين كله لا يجوز، ولا يجوز للإنسان أن يستمر على خطأ أو يُقلد مخطئاً، ولكن الخطأ بعضه أشد من بعض.

والخطأ في العقيدة هو أشد الخطأ، والانحراف في



العقيدة هو أشد الانحراف؛ لأن الخطأ في العقيدة لا جبر له، أما الخطأ فيما دون ذلك فهو تحت المشيئة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾ [النساء: ١١٦]، وفي الآية الأخرى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء: ٤٨].

الإيمان ببقية أصول الدين:

أما الإيمان ببقية أصول الدين: الإيمان بالملائكة، والكتب، والرسل، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، هذه كلها تابعة للإيمان بالله عز وجل، وكلها متفرعة عن الإيمان به سبحانه وتعالى؛ لأنه قد أخبرنا بوجود الملائكة، وأخبرنا بالغيوب الماضية، وإرسال الرسل، وأخبرنا عن اليوم الآخر، وما يكون فيه.

فيجب علينا أن نؤمن بذلك، وأغلب ذلك من الإيمان بالغيب.

- ونحن نؤمن بالله، ونؤمن بملائكته، وهذا من أعظم الإيمان بالغيب.
- ونؤمن كذلك بالرسل وإنْ لم نرهم، ولكننا نؤمن بهم

لخبر الله عز وجل أنه أرسل رسلاً مبشرين ومنذرين، أولهم نوح وآخرهم محمد ﷺ.

- ونؤمن بالملائكة ونحن لا نراهم، ولكن نؤمن بخبر الله سبحانه وتعالى وخبر رسوله ﷺ.

- ونؤمن كذلك باليوم الآخر وهو لم يأتِ بعد، ولكن نعتمد في ذلك على خبر الله وخبر رسوله ﷺ، وذلك هو الإيمان الصحيح.

الإيمان بالقدر:

- ونؤمن كذلك بالقدر خيره وشره. والإيمان بالقدر يتضمن أربع درجات:

الدرجة الأولى: الإيمان بأن الله علم ما كان، وما سيكون. لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، ولا يخفى عليه شيء، من الغيوب الماضية والمستقبلية، كله في علم الله عز وجل سواء.

الدرجة الثانية: الإيمان بأن الله كتب ذلك في اللوح المحفوظ الذي كتب فيه مقادير كل شيء، كما في الحديث: «**إن أول ما خلق الله القلم فقال: اكتب، فقال: ما أكتب؟ قال: اكتب القدر ما كان وما هو كائن إلى الأبد**»[1].



فنؤمن بأن كل ما يجري، وكل ما يقع، أن الله علمه، وأن الله كتبه سبحانه وتعالى في اللوح المحفوظ، كما في قوله تعالى: ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحديد: ٢٢].

فكل شيء مكتوب في اللوح المحفوظ، لا يتخلف منه شيء، مقادير الخلق وكتابة القدر في اللوح المحفوظ سابقة لخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، كما في الحديث الصحيح(٢) عن النبي ﷺ، فما من شيء إلاَّ وهو مسجل في اللوح المحفوظ، كما قال تعالى: ﴿ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ ﴿٤﴾ ﴾ [ق: ٤].

الدرجة الثالثة: أن نؤمن بمشيئة الله الشاملة وإرادته لكل شيء، وأن الله إذا أراد شيئاً بالإرادة الكونيـة وشاءه، فلا بد من وقوعه، وأنه لا يقع شيء في الكون إلاَّ بإرادة الله سبحانه وتعالى، ومشيئته وتدبيره.

الدرجة الرابعة: وهي الأخيرة: أن نؤمن بأن كل شيء

---

(١) رواه الترمذي، الحديث برقم (٢١٥٥)، وأبو داود، الحديث برقم (٤٧٠٠).

(٢) رواه مسلم، الحديث برقم (٢٦٥٣).

هو مخلوق لله سبحانه: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾ [الزمر: ٦٢].

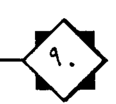
كل ما في الكون، ما كان وما يكون هو من خلق الله سبحانه وتعالى وإيجاده، لا أحد يُوجِد في الكون شيئاً، ولا أحد يخلق شيئاً في هذا الكون من دون الله.

إرادة الإنسان لا تخرج عن إرادة الله عز وجل:

وهذا لا يمنع أن يكون للعبد إرادة ومشيئة وأن يكون له اختيار وفعل، وقدرة بها يقدر على الفعل والترك، وبها يقدر على اختيار الضار من النافع.

فالإنسان يفعل بإرادته الخير والحسنات والطاعات، وبإرادته يترك الطاعات والواجبات، وبها يفعل المعاصي والشرور والمخالفات، وهو يُحاسَب على إرادته وعلى فعله، ولكن إرادته ومشيئته لا تخرج عن مشيئة الله عز وجل، كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩].

فأثبت للعبد مشيئة، لكنه ربطها بمشيئته سبحانه وتعالى، ولهذا لما قال رجل للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت، قال: «**جعلتني لله عدلاً، قل: ما شاء الله ثم شئت**»، أو



«قل: ما شاء الله وحده»[١].

تفسير بعض الطوائف بمعنى القدر:

انحرف في تفسير باب القدر طوائف عدة منها:

الطائفة الأولى: الجهمية الجبرية:

فقالوا: إنَّ العبد مجبور على فعله، لا اختيار له، ولا قدرة، ولا إرادة، العبد مثل الريشة في الهواء، ومثل ورقة الشجرة، تحركها الرياح بغير إرادة منها، ولا اختيار، هذا ما تقوله الجبرية من الجهمية.

والطائفة الثانية: على النقيض وهم المعتزلة:

قالوا: إن كل إنسان يخلق فعل نفسه، وليس لله تدبير، ولا إرادة بفعل العبد، وإنما العبد هو الذي يفعل الشيء باختياره وقدرته استقلالاً، لا ارتباط له بمشيئة الله، حتى غلا بعضهم، وقال: إنَّ الله لا يعلم الأشياء قبل كونها، وإنما العبد هو الذي يستأنفها، ولهذا يقولون: الأمر أُنف، وهؤلاء غلاة المعتزلة، ويسمون بالقدرية النفاة.

الطائفة الأولى تسمى بالجبرية، وهؤلاء: بالقدرية النفاة.

الطائفة الأولى: أثبتوا القدر وغلوا فيه، وسلبوا العبد

---

(١) رواه أحمد: (١/ ٢٨٣).

إرادته، والطائفة الثانية: وهم المعتزلة على النقيض، غلوا في مشيئة العبد وإثبات مشيئة العبد، حتى ألغوا مشيئة الله وإرادته.

وكلا الطرفين ضالّ ومخطئ خطأ عظيماً.

توسط أهل السنَّة والجماعة:

توسط أهل السنَّة والجماعة، فأثبتوا للعبد قدرةً واختياراً وإرادة، ولكنها تابعة لمشيئة الله - جل وعلا - وقدرته وإرادته، وأن أحداً لا يستطيع أن يفعل شيئاً إلاَّ بإرادة الله ومشيئته.

القدرية يستحقون المقت والذم:

والقدرية يُقال: إنهم مجوس هذه الأمة، لماذا؟ لأنهم أثبتوا خالقين مع الله، حيث قالوا: إن كل إنسان يخلق فعل نفسه استقلالاً، وبذلك ضلوا، وبذلك استحقوا المقت والذم من أهل الحقّ؛ لأنهم خلطوا في هذا الأصل العظيم وهو الإيمان بالقدر.

الإيمان بالقدر من أصول الإيمان:

والإيمان بالقدر هو من أصول الإيمان كما في حديث جبريل أنه قال للنبي ﷺ: أخبرني عن الإيمان، فقال:



«الإيمان: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره»(١).

وكما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩]، وكما في الحديث: «احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قَدَرُ الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان»(٢).

والأحاديث والنصوص في هذا كثيرة، وهذا أصل معروف، والحق فيه - والحمد لله - واضح، وعقيدة أهل السنَّة والجماعة فيه واضحة، ومبنية على ما جاء في الكتاب والسنَّة، أما من انحرف عن هذا الأصل، فإنه إنما أُتي من قبل نفسه، ومن قبل هواه، وإعراضه عن الكتاب والسنَّة.

وهكذا كل من حاول الخروج عن دلالة الكتاب والسنَّة فإنه يقع في الضلال، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه مسلم، الحديث برقم (٢٤٦٤).

وفي الختام:

هذا مجمل في عقيدة السلف، وأهل السنَّة والجماعة، جعلنا الله وإياكم منهم بمنِّه وكرمه، ورزقنا التمسُّك بالحق والصبر عليه والثبات عليه إلى يوم أن نلقاه.

فالمتمسِّك بعقيدة أهل السنَّة والجماعة يكون على بصيرة، وعلى هدى، ويكون قلبه مطمئناً وثابتاً؛ لأنه عاش على الكتاب والسنَّة، وعاش على دليل واضح؛ مقتفياً للرسول ﷺ وصحابته، فهو على طمأنينة، وعلى ثبات في أمر دينه.

ويصيبه من الخيرات، والتثبيت والمزايا العظيمة ما لا يحصل لغيره من المنحرفين، الذي هُمْ في همّ دائم وقلق مقيم معهم أينما ذهبوا وأينما حلّوا

أما أهل السنَّة والجماعة فهم ثابتون على الحق لا يتزعزعون، ولا يتزحزحون ولا يحدث عندهم أهواء وآراء واختلافات؛ لأن منهجهم واحد، وطريقتهم واحدة، ودليلهم واحد.

والمتمسكون بعقيدة أهل السنَّة والجماعة قد أعدّ الله لهم من الكرامة والجنة والخلود في النعيم المقيم الذي لا يفنى ولا يزول، كما قال تعالى: ﴿**فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى**

فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ ولا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [طه : ١٢٣] .

قاب ابن عباس ﷺ : (تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه ألا يضلَّ في الدنيا ولا يشقى في الآخرة) .

وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام: ٨٢]، لهم الأمن في الآخرة من العذاب، ولهم الهداية في الدنيا من الضلال فهم في الدنيا مهتدون، غير ضالين ولا مضلين، وفي الآخرة يحصل لهم الأمن، يوم يخاف الناس، ويوم يفزع الناس، ويوم تنقطع القلوب من الفزع، فإن أهل السنَّة والجماعة وأهل الحق في أمان، كما قال تعالى: ﴿لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠٣]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فصلت : ٣٠ - ٣٢] .

هذه مآثر العقيدة السليمة في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ

حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل: ٩٧].

هذه ضمانات من الله سبحانه وتعالى لأهل السنَّة والجماعة وأهل الحق؛ لأنهم على خير في العاجل والآجل.

جعلنا الله وإياكم منهم بمنّه وكرمه، ونسأله سبحانه أن يُرِيَنا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه، ويُرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين.

وصلَّى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين. انتهى.

* * *

الرسالة الرابعة

الولاء والبراء في الإسلام

الحمد لله، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وآله وصحبه ومن اهتدى بهداه.

وبعد: فإنه بعد محبة الله ورسوله توجب محبة أولياء الله ومعاداة أعدائه.

فمن أصول العقيدة الإسلامية أنه يجب على كل مسلم يدين بهذه العقيدة أن يوالي أهلها ويعادي أعداءها، فيحب أهل التوحيد والإخلاص ويواليهم، ويبغض أهل الإشراك ويعاديهم، وذلك من ملة إبراهيم والذين معه، الذين أمرنا بالاقتداء بهم، حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾ ﴾ [الممتحنة: ٤].

وهو من دين محمد عليه الصلاة والسلام، قال تعالى:



﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١) ﴾ [المائدة: ٥١].

وهذه في تحريم موالاة أهل الكتاب خصوصاً. وقال في تحريم موالاة الكفار عموماً: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ [الممتحنة: ١].

بل لقد حرَّم على المؤمن موالاة الكفار ولو كانوا من أقرب الناس إليه نسباً، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٣) ﴾ [التوبة: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿ لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وقد جهل كثير من الناس هذا الأصل العظيم، حتى لقد سمعت بعض المنتسبين إلى العلم والدعوة في إذاعة عربية يقول عن النصارى: إنهم إخواننا، ويا لها من كلمة خطيرة.

وكما أن الله سبحانه حرَّم موالاة الكفار أعداء العقيدة

الإسلامية فقد أوجب سبحانه موالاة المؤمنين ومحبتهم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٥، ٥٦]، وقال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

فالمؤمنون إخوة في الدين والعقيدة وإن تباعدت أنسابهم وأوطانهم وأزمانهم، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٠)﴾ [الحشر: ١٠].

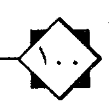
فالمؤمنون من أول الخليقة إلى آخرها مهما تباعدت أوطانهم وامتدت أزمانهم إخوة متحابون يقتدي آخرهم بأولهم ويدعوا بعضهم لبعض ويستغفر بعضهم لبعض.

وللولاء والبراء مظاهر تدل عليهما:

أولاً: من مظاهر موالاة الكفار:

١ - التشبّه بهم في الملبس والكلام وغيرهما:

لأن التشبّه بهم في الملبس والكلام وغيرهما يدل على



محبة المتشبّه به؛ ولهذا قال النبي ﷺ: «من تشبّه بقوم فهو منهم»[1].

٢- الإقامة في بلادهم وعدم الانتقال منها إلى بلد المسلمين لأجل الفرار بالدين:

لأن الهجرة بهذا المعنى، ولهذا الغرض واجبة على المسلم؛ لأن إقامته في بلاد الكفر تدل على موالاة الكافرين، ومن هنا حرّم الله إقامة المسلم بين الكفّار إذا كان يقدر على الهجرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً ﴿٩٨﴾ فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾ [النساء: ٩٧ - ٩٩].

فلم يعذر الله في الإقامة في بلاد الكفار إلاّ المستضعفين الذين لا يستطيعون الهجرة. وكذلك من كان في إقامته مصلحة دينية كالدعوة إلى الله ونشر الإسلام في بلادهم.

---

(١) رواه أبو داود، الحديث برقم (٤٠٣١).

٣- السفر إلى بلادهم لغرض النزهة ومتعة النفس:

والسفر إلى بلاد الكفار مُحرَّم إلاَّ عند الضرورة؛ كالعلاج والتجارة والتعليم للتخصصات النافعة التي لا يمكن الحصول عليها إلاَّ بالسفر إليهم فيجوز بقدرة الحاجة، وإذا انتهت الحاجة وجب الرجوع إلى بلاد المسلمين.

ويشترط كذلك لجواز هذا السفر أن يكون مُظْهِراً لدينه معتزاً بإسلامه، مبتعداً عن مواطن الشر، حذراً من دسائس الأعداء ومكائدهم، وكذلك يجوز السفر أو يجب إلى بلادهم إذا كان لأجل الدعوة إلى الله ونشر الإسلام.

٤- إعانتهم ومناصرتهم على المسلمين ومدحهم والذب عنهم:

وهذا من نواقض الإسلام وأسباب الردة نعوذ بالله من ذلك.

٥- اتخاذهم بطانة ومستشارين:

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ** ﴿١١٨﴾



هَا أَنتُمْ أُوْلاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [آل عمران: ١١٨ - ١٢٠].

فهذه الآيات تشرح دخائل الكفار وما يكنُّونه نحو المسلمين من بغض، وما يدبرونه ضدهم من مكر وخيانة، وما يحبونه من مضرة المسلمين وإيصال الأذى إليهم بكل وسيلة، وأنهم يستغلون ثقة المسلمين بهم فيخططون للإضرار بهم والنيل منهم.

روى الإمام أحمد عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قلت لعمر رضي الله عنه: لي كاتب نصراني، قال: ما لك قاتلك الله؟ أما سمعت قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [المائدة: ٥١]؟ ألا اتخذت حنيفاً، قلت: يا أمير المؤمنين، لي كتابته وله دينه، قال: لا أكرمهم إذ أهانهم الله، ولا أعزهم إذ أذلهم الله، ولا أدنيهم وقد أقصاهم الله.



وروى الإمام أحمد ومسلم: أن النبي ﷺ خرج إلى بدر فتبعه رجل من المشركين، فلحقه عند الحرة فقال: إني أردت أن أتبعك وأصيب معك، قال: تؤمن بالله ورسوله؟ قال: لا. قال: «**ارجع فلن أستعين بمشرك**»[1].

ومن هذه النصوص يتبين لنا تحريم تولية الكفار أعمال المسلمين التي يتمكنون بواسطتها من الاطلاع على أحوال المسلمين وأسرارهم ويكيدون لهم بإلحاق الضرر بهم.

ومن هذا ما وقع في هذا الزمان من استقدام الكفار إلى بلاد المسلمين - بلاد الحرمين الشريفين - وجعلهم عمالاً وسائقين ومستخدمين، ومربين في البيوت وخلطهم مع العوائل، أو خلطهم مع المسلمين في بلادهم.

٦- التأريخ بتاريخهم، خصوصاً التاريخ الذي يعبّر عن طقوسهم وأعيادهم كالتاريخ الميلادي:

والذي هو عبارة عن ذكرى مولد المسيح عليه السلام، والذي ابتدعوه من أنفسهم وليس هو من دين المسيح عليه السلام، فاستعمال هذا التاريخ فيه مشاركة في إحياء شعارهم وعيدهم.

---

(١) رواه مسلم، الحديث برقم (١٨١٧).

ولتجنّب هذا لما أراد الصحابة ﷺ وضع تاريخ للمسلمين في عهد الخليفة عمر ﷺ عدلوا عن تواريخ الكفار وأرخوا بهجرة الرسول ﷺ، مما يدل على وجوب مخالفة الكفار في هذا وفي غيره مما هو من خصائصهم. والله المستعان.

٧- مشاركتهم في أعيادهم أو مساعدتهم في إقامتها أو تهنئتهم بمناسبتها أو حضور إقامتها:

وقد فُسِّر قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ [الفرقان: ٧٢]، أي: ومن صفات عباد الرحمن أنهم لا يحضرون أعياد الكفار.

٨- مدحهم والإشادة بما هم عليه من المدنية والحضارة والإعجاب بأخلاقهم ومهاراتهم دون نظر إلى عقائدهم الباطلة ودينهم الفاسد:

قال تعالى: ﴿وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾ [طه: ١٣١].

وليس معنى ذلك أن المسلمين لا يتخذون أسباب القوة من تعلّم الصناعات ومقومات الاقتصاد المباح والأساليب



العسكرية، بل ذلك مطلوب، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠].

وهذه المنافع والأسرار الكونية هي في الأصل للمسلمين، قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الأعراف: ٣٢]، وقال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣]، وقال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩].

فالواجب أن يكون المسلمون سابقين إلى استغلال هذه المنافع وهذه الطاقات، ولا يستجدون الكفار في الحصول عليها، بل أن يكون لهم مصانع وتقنيات.

٩- التسمي بأسمائهم:

بحيث يسمي بعض المسلمين أبناءهم وبناتهم بأسماء أجنبية ويتركون أسماء آبائهم وأمهاتهم وأجدادهم وجداتهم والأسماء المعروفة في مجتمعهم، وقد قال النبي ﷺ: «**إن أحب أسمائكم إلى الله عبد الله وعبد الرحمن**»[1]، وبسبب تغيير الأسماء فقد وجد جيل يحمل أسماء غريبة،

---

(١) رواه مسلم، الحديث برقم (٢١٣٢).



مما يسبب الانفصال بين هذا الجيل والأجيال السابقة ويقطع التعارف بين الأسر التي كانت تعرف بأسمائها الخاصة.

١٠- الاستغفار لهم والترحم عليهم:

وقد حرَّم الله ذلك بقوله تعالى: ﴿**مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾**﴾ [التوبة: ١١٣]؛ لأن هذا يتضمن حبهم وتصحيح ما هم عليه.

١١- حكم الاستعانة بالكفار في الوظائف والقتال ونحو ذلك:

(أ) في الوظائف: قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾**﴾ [آل عمران: ١١٨].

قال البغوي رحمه الله: ﴿**لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ**﴾، أي: أولياء وأصفياء من غير أهل ملتكم، وبطانة الرجل: خاصته. ثم بيّن سبحانه العلة في النهي عن اتخاذهم بطانة فقال: ﴿**لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً**﴾، أي لا يقصرون في عمل ما يضركم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: فقد عرف أهل الخبرة أن أهل الذمة من اليهود والنصارى والمنافقين يكاتبون أهل دينهم بأخبار المسلمين وبما يطلعون عليه من أسرارهم، ومن الأبيات المشهور:

كل العداوة قد ترجى مودتها　　إلاَّ عداوة من عاداك في الدين

ولهذا وغيره منعوا أن يكونوا على ولاية المسلمين (يعني في الوظائف)، بل إن استعمال من هو دونهم في الكفاية (يعني من المسلمين) أنفع للمسلمين في دينهم ودنياهم، والقليل من الحلال يبارك فيه، والكثير من الحرام يذهب ويمحقه الله تعالى. انتهى[١] باختصار.

وقد تبين مما سبق:

١- أنه لا يجوز أن يولّى الكافر ولاية فيها سلطة على المسلمين أو اطلاع على أسرارهم كاتخاذهم وزراء ومستشارين؛ لقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً**﴾ [آل عمران: ١١٨]، أو موظفين في أعمال الدولة الإسلامية.

٢- أنه يجوز استئجارهم للقيام ببعض الأعمال الجانية

---

(١) «مجموع الفتاوى»: (٢٨/ ٦٤٦).

التي لا تُشكّل خطراً على سياسة الدولة المسلمة؛ كالدلالة على الطريق وما في معناه؛ كبناء المباني، وإصلاح الطرق بشرط أن لا يكون في المسلمين من يصلح للقيام بهذا العمل، فإن النبي ﷺ استأجر هو وأبو بكر رجلاً من بني الديل هادياً خِرِّيتاً يدلهما على الطريق في سفر الهجرة إلى المدينة وكان رجلاً مشركاً[١].

(ب) أما الاستعانة بهم في القتال: ففي المسألة خلاف بين أهل العلم، والصحيح: جواز ذلك عند الحاجة والضرورة إذا كان المستعان به منهم مأموناً في الجهاد، قال ابن القيم في فوائد صلح الحديبية: ومنها: أن الاستعانة بالمشرك المأمون في الجهاد جائزة عند الحاجة، وفيه من المصلحة أنه أقرب إلى اختلاطه بالعدو وأخذه أخبارهم[٢]، ويجوز للضرورة؛ لما روى الزهري أنه ﷺ استعان بناس من اليهود في حرب خيبر سنة سبع، وشهد صفوان حنيناً وهو مشرك، والضرورة مثل كون الكفار أكثر عدداً ويخاف منهم بشرط أن يكون حسن الرأي في المسلمين

---

(١) رواه البخاري: (٣/ ٤٨).

(٢) «زاد المعاد»: (٣/ ٣٠١)، بتحقيق: شعيب وعبدالقادر الأرناووط.



أما عند عدم الحاجة فلا تجوز الاستعانة بهم؛ لأن الكفار لا يؤمن مكره وغائلته لخبث طويته.

ثانياً: من مظاهر موالاة المؤمنين:

١- الهجرة إلى بلاد المسلمين وهجر بلاد الكافرين:

والهجرة: هي الانتقال من بلاد الكفار إلى بلاد المسلمين لأجل الفرار بالدين.

والهجرة بهذا المعنى ولأجل هذا الغرض واجبة وباقية إلى طلوع الشمس من مغربها عند قيام الساعة، وقد تبرأ النبي ﷺ من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين، فتحرم على المسلم الإقامة في بلاد الكفار إلاَّ إذا كان لا يستطيع الهجرة منها، أو كان في إقامته مصلحة دينية؛ كالدعوة إلى الله ونشر الإسلام، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (٩٧) إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً (٩٨) فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا (٩٩)**﴾ [النساء: ٩٧ - ٩٩].

٢- مناصرة المسلمين ومعاونتهم بالنفس والمال واللسان فيما يحتاجون إليه في دينهم ودنياهم:

قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١]، وقال تعالى: ﴿وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾ [الأنفال: ٧٢].

٣- التألم لألمهم والسرور بسرورهم:

قال النبي ﷺ: «مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[١]، وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً»[٢]، وشبك بين أصابعه ﷺ.

٤- النصح لهم ومحبة الخير لهم وعدم غشهم وخديعتهم:

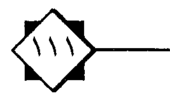
قال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[٣]، وقال: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى ها هنا، بحسب امريء من الشر أن

---

(١) رواه البخاري: (٧/ ٧٧، ٧٨)، ومسلم، الحديث برقم (٢٥٨٦) واللفظ له.

(٢) رواه البخاري: (٧/ ٨٠)، ومسلم، الحديث برقم (٢٥٨٥).

(٣) رواه البخاري: (١/ ٩)، ومسلم، الحديث برقم (٤٥).



يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه»[1]، وقال عليه الصلاة والسلام: «لا تباغضوا ولا تدابروا ولا تناجشوا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً»[2].

٥- احترامهم وتوقيرهم وعدم تنقصهم وعيبهم:

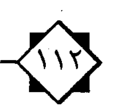
قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (١١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ (١٢)﴾ [الحجرات: ١١، ١٢].

٦- أن يكون معهم في حال العسر واليسر والشدة والرخاء:

بخلاف أهل النفاق الذين يكونون مع المؤمنين في حال اليسر والرخاء ويتخلون عنهم في حال الشدة.

---

(١) رواه البخاري: (٣/٩٨)، ومسلم، الحديث برقم (٢٥٦٤) واللفظ له.
(٢) رواه مسلم، الحديث برقم (٢٥٦٤).



قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ١٤١].

٧- زيارتهم ومحبة الالتقاء بهم والاجتماع معهم:

وفي الحديث القدسي: «**وجبت محبتي للمتزاورين فيَّ**»[(١)]، وفي حديث آخر: «**أن رجلاً زار أخاً له - في الله - في قرية أخرى فأرصد الله له على مدرجته ملكاً، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي - في الله - في هذه القرية قال: هل لك عليه من نعمة تربها؟ قال: لا، غير أني أحببته في الله عز وجل، قال: فإني رسول الله إليك، بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه**»[(٢)].

٨- احترام حقوقهم:

فلا يبيع على بيعهم ولا يسوم على سومهم ولا يخطب على خطبتهم ولا يتعرض لما سبقوا إليه من المباحات.

قال ﷺ: «**ألا لا يبع الرجل على بيع أخيه، ولا يخطب**

---

(١) رواه مالك في (الموطأ)، طبعة دار النفائس، بيروت، الحديث برقم (١٧٣٥)، وأحمد: (٥/ ٢٣٣).

(٢) رواه مسلم، الحديث برقم (٢٥٦٧).

على خطبة أخيه»[١]. وفي رواية: «ولا يسم على سوم أخيه»[٢].

٩- الرفق بضعفائهم:

كما قال النبي ﷺ: «ليس منا من لم يوقّر كبيرنا ويرحم صغيرنا»[٣]، وقال عليه الصلاة والسلام: «هل تنصرون وترزقون إلاَّ بضعفائكم»[٤].

وقال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٢٨].

١٠- الدعاء لهم والاستغفار لهم:

قال تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: ١٩]، وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر: ١٠].

تنبيه: وأما قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُم

---

(١) رواه البخاري: (٣/ ٢٤)، ومسلم، الحديث برقم (١٥١٤).

(٢) رواه مسلم، الحديث برقم (١٥١٥).

(٣) رواه الترمذي، الحديث برقم (١٩١٩).

(٤) رواه البخاري: (٣/ ٢٢٥).

وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾ [الممتحنة: ٨].

فمعناه: أن من كف أذاه من الكفار فلم يقاتل المسلمين ولم يخرجهم من ديارهم فإن المسلمين يقابلون ذلك بمكافأته بالإحسان والعدل معه في التعامل الدنيوي ولا يحبونه بقلوبهم؛ لأن الله قال: ﴿أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ [الممتحنة: ٨]، ولم يقل: توالونهم وتحبونهم.

ونظير هذا قوله تعالى في الوالدين الكافرين: ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [لقمان: ١٥].

وقد جاءت أم أسماء إليها تطلب صلتها وهي كافرة فاستأذنت أسماء رسول الله ﷺ في ذلك فقال لها: «صلي أمك»[1]، وقد قال الله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢].

فالصلة والمكافأة الدنيوية شيء، والمودة شيء آخر.

ولأن في الصلة وحسن المعاملة ترغيباً للكافر في الإسلام فهما من وسائل الدعوة، بخلاف المودة والموالاة فهما

---

(١) رواه البخاري: (٣/ ١٤٢)، ومسلم، الحديث برقم (١٠٠٣).

يدلان على إقرار الكافر على ما هو عليه والرضى عنه وذلك بسبب عدم دعوته إلى الإسلام.

وكذلك تحريم موالاة الكفار لا تعني تحريم التعامل معهم بالتجارة المباحة واستيراد البضائع والمصنوعات النافعة والاستفادة من خبراتهم ومخترعاتهم.

فالنبي ﷺ استأجر ابن أريقط الليثي ليدله على الطريق وهو كافر واستدان من بعض اليهود.

وما زال المسلمون يستوردون البضائع والمصنوعات من الكفار وهذا من باب الشراء منهم بالثمن وليس لهم علينا فيه فضل ومِنَّة.

وليس هو من أسباب محبتهم وموالاتهم، فإن الله أوجب محبة المؤمنين وموالاتهم، وبغض الكافرين ومعاداتهم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُوْلَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٢]، إلى قوله تعالى: ﴿وَالَّذينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٣].

قال الحافظ ابن كثير: (ومعنى قوله: ﴿إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾﴾، أي: لم تجانبوا المشركين



وتوالوا المؤمنين وإلاَّ وقعت فتنة في الناس وهو التباس الأمر واختلاط المؤمنين بالكافرين فيقع بين الناس فساد منتشر عريض طويل). انتهى.

قلت: وهذا ما حصل في هذا الزمان. والله المستعان.

ثالثاً: أقسام الناس فيما يجب في حقهم من الولاء والبراء

الناس في الولاء والبراء على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: من يُحَبُّ محبة خالصة لا معادة معها:

وهم المؤمنون الخلص من الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، وفي مقدمتهم رسول الله ﷺ فإنه تجب محبته أعظم من محبة النفس والولد والوالد والناس أجمعين.

ثم زوجاته أمهات المؤمنين وأهل بيته الطيبين وصحابته الكرام، خصوصاً الخلفاء الراشدين وبقية العشرة والمهاجرين والأنصار وأهل بدر وأهل بيعة الرضوان ثم بقية الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

ثم التابعون والقرون المفضلة وسلف هذه الأمة وأئمتها، كالأئمة الأربعة.

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ

آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ١٠].

ولا يبغض الصحابة وسلف هذه الأمة من في قلبه إيمان، وإنما يبغضهم أهل الزيغ والنفاق وأعداء الإسلام كالرافضة والخوارج. نسأل الله العافية.

القسم الثاني: من يُبْغَضُ ويُعادى بغضاً ومعاداة خالصين لا محبة ولا موالاة معهما:

وهم الكفار الخُلَّص من الكفار والمشركين والمنافقين والمرتدين والملحدين على اختلاف أجناسهم، كما قال تعالى: ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وقال تعالى عائباً على بني إسرائيل: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾ [المائدة: ٨٠، ٨١].

القسم الثالث: من يُحَبُّ من وجه ويُبْغَضُ من وجه:

فتجتمع فيه المحبة والعداوة وهم عصاة المؤمنين. يحبون لما فيهم من الإيمان ويبغضون لما فيهم من المعصية التي

هي دون الكفر والشرك.

ومحبتهم تقتضي مناصحتهم والإنكار عليهم، فلا يجوز السكوت على معاصيهم، بل يُنْكَر عليهم ويؤمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وتقام عليهم الحدود والتعزيرات حتى يكفُّوا عن معاصيهم ويتوبوا من سيئاتهم، ولكن لا يبغضون بغضاً خالصاً ويتبرأ منهم، كما تقوله الخوارج في مرتكب الكبيرة التي هي دون الشرك، ولا يحبون ويوالون حبًا وموالاة خالصين، كما تقوله المرجئة، بل يعتدل في شأنهم على ما ذكرنا كما هو مذهب أهل السنَّة والجماعة.

والحب في الله والبغض في الله أوثق عرى الإيمان، والمرء مع من أحب يوم القيامة كما في الحديث.

وقد تغيّر الوضع وصار غالب موالاة الناس ومعاداتهم لأجل الدنيا فمن كان عنده طمع من مطامع الدنيا والوه وإن كان عدوًا لله ولرسوله ولدين المسلمين.

ومن لم يكن عنده طمع من مطامع الدنيا عادوه ولو كان وليًا لله ولرسوله عند أدنى سبب وضايقوه واحتقروه.

وقد قال عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: (من أحب في الله وأبغض في الله ووالى في الله وعادى في الله فإنما تنال

ولاية الله بذلك، وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا وذلك لا يجدي على أهله شيئاً) رواه ابن جرير.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى قال: من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب**»[1]، الحديث رواه البخاري.

وأشد الناس محاربة لله من عادى أصحاب رسول الله ﷺ وسبهم وتنقصهم.

وقد قال ﷺ: «**الله الله في أصحابي، الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غَرَضاً بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه**»[2] أخرجه الترمذي وغيره.

وقد صارت معادة الصحابة وسبهم ديناً وعقيدة عند بعض الطوائف الضالة.

نعوذ بالله من غضبه وأليم عقابه، ونسأله العفو والعافية، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وآله وصحبه.

---

(١) رواه البخاري: (٧/ ١٩٠).

(٢) رواه الترمذي، الحديث برقم (٣٨٦٢).



الفهرس